مغامرات

أرسين لوبين



غريم شرلوك هولمز

١ - الارث المشئوم

عاد ارسين الى النقطة التى بدأ منها طوافه حول اسوار القصر العالية بعد أن تبين خلوها من أية ثغرة يمكن أن يتسلل منها وأنه ما من سبيل الى بلوغ قصر (موبونوس) وحديقته المترامية الأطراف الا من ذلك الباب الصغير المنخفض المحكم الرتاج ، أو من المدخل الرئيسى الذى تقوم الى جواره حجرة الحارس .. فغمغم : لا بأس ... سوف نستخدم أساليب الفروسية .

وتحول الى الغابة حيث كان يخفى دراجته فأخرج من تحت مقعدها حبلا طويلا ثم مضى الى بقعة بعيدة عن الطريق فى طرف الغابة لاحظها أثناء تجواله حول القصر ، وكانت فيها أشجار الحديقة الباسقة تتدلى فروعها فوق الاسوار .. وربط قطعة من الحجر فى طرف الحبل ثم ألقى بها فوق أحد الاغصان المرتفعة وراح يجذبة اليه بكل قوته حتى تعلق به وما لبث أن عاد الغصن الى الارتفاع ثانية فارتقى به السور وانزلق من الشجرة وهو يقفز بخفة فوق أعشاب الحديقة .

واختفى لوبين خلف دغلة من الأشجار التى جردها الشتاء من أوراقها ، وهو يحاذر أن يراه أحد ، ثم راح يتفحص القصر ويمعن النظر خلال منظاره المعظم الى واجهته القائمة ونوافذه الموصدة حتى ليقال أن القصر مهجور لا يسكنه أحد .. وما لبث أن غمغم ثانية :

- يا له من منزل كئيب ! . اننى لا أتمنى أن أقضى أيامى الأخيرة فيه .

وسمع الساعة تدق الثالثة .. وفى نفس الوقت فتح باب فى الطابق الاسفل يتصل بشرفة واسعة وبدا منه شبح امرأة بالغة النحافة ، تلتف فى معطف أسود ، راحت تقطع الشرفة ذهابا وجيئة فى خطوات بطيئة وهى تلقى بفتات الخبز الى الطيور التى تجمعت حولها تلتقط الطعام من يدها دون أن تفزع منهـا ، وما لبثت أن هبطت الدرج الحجرى واتخذت سمتها الى الممر الايمن فى الحديقة .

وكان لوبين يتأملها فى امعان ، خلال منظاره ، وهى تتجه ناحيته ، فراها فتاة فى مقتبل العمر وشقراء الشعر باديه الملاحة ، كانت تسير فى خفة وهى تتأمل شمس ديسمبر الضعيفة الباهتة ، وتلهو بتكسير الفروع الجافة الصغيرة التى تتدلى على جانبى الطريق .

وما أن بلغت الفتاة ثلثى المسافة التى تفصلها عن لوبين ، حتى سمع هذا زمجرة مخيفة ، ورأى كلبا هائل الحجم بشع المنظر ينتصب على ساقيه الخلفيتين وهو مشدود الى سلسلة قوية فى كوخ قريب من الممر الذى تسير الفتاة فيه ، كما رآها تبتعد قليلا ، ثم تواصل السير دون أن تلقى بالا الى مثل هذا الحادث العادى الذى يقع كل يوم .

غير أن الكلب اشتد هياجه وعلت زمجرته وراح يجذب السلسلة حتى ليوشك الطوق المحيط بعنقه أن يخنقـه . فالتفتت اليه الفتاة بعد أن جاوزته ببضع خطوات ولوحت له بيدها وقد نفد صبرها فكأنما زادته هذه الحركة هياجا ووحشية اذ تراجع الى الخلف وما لبث أن اندفع الى الامام ، لا يعوقه شىء هذه المرة .

فأطلقت الفتاة صرخة فزع ثاقبة ، بينما كان الكلب يعبر الطريق اليها تعدو بكل قواها وتصبح مستنجدة فى يأس ،

حتى اذا ما رأت الوحش يلحق بها فى مثل لمح البصر ويوشك أن يطبق عليها ، سقطت على الارض خائرة القوى وهى تظن نفسها مقضيا عليها لا محالة .

وفى تلك اللحظة دوى طلق نارى .

وقفز الوحش فى الفضاء ، ثم انتصب على ساقيه وقد كشر عن أنيابه المخيفة ، وما لبث أن هوى كالطود الشامخ يضرب الارض بمخالبه ، وتنبعث من حلقه حشرجة مروعة ، قبل أن يسكن حراكه ويتمدد جثة هامدة .

وقدم لوبين يعدو والدخان ينبعث من فوهة مسدسه ، متأهبا لاطلاقه مرة أخرى . ولكنه ما عتم أن قال :

ـ لقد مات ..

وعندئذ قامت الفتاة مترنحة لا تكاد تقوى على التماسك ، وقد امتقع وجهها ، وراحت تنظر فى دهشة الى الرجل الذى أنقذ حياتها دون أن تعرفه ، ثم قالت :

ـ شكرا يا سيدى ، لقد كنت شديدة الفزع ولكنك جئت فى الوقت المناسب .

فخلع لوبين قبعته قائلا :

ـ اسمحى لى أيتها الآنسة أن أقدم لك نفسى .. أننى بول دوبريه ، ولكن مهلا لحظة واحدة قبل أن أبين لك سبب وجودى فى هذا المكان .

ثم انحنى فوق جثة الكلب وراح يفحص السلسلة فى الموضع الذى حطمتها قوة الوحش عنده .. وأخيرا قام وهو يغمغم :

ـ آه ! .. هذا ما ظننته ، وكان ينبغى أن أحضر قبل الآن ، فان الحوادث تتعجل سيرها هنا .

ثم عاد الى الفتاة قائلا فى حرارة :

– لا ينبغى أن نضيع لحظة واحدة يا آنستى ! . فان وجودى فى هذه الحديقة يعد فى ذاته عملا جريئا ، ولست احب أن يفاجئنى احد لاسباب تتعلق بك وحدك .. وهل تظنين أن احدا فى القصر قد سمع الطلق النارى ؟

وكانما هدأ جاش الفتاة واستعادت ثقتها وطمانينتها لمرأى هذا الشاب الغريب ، فأجابت فى صوت ثابت صاف:

– لا أظن ذلك .

– وهل والدك فى القصر اليوم ؟

– أن ابى مريض طريح الفراش منذ شهور ، فضلا عن أن حجرته تقع فى الناحية الاخرى .

– والخدم ؟

– انهم يعملون فى تلك الناحية كذلك ، ولا يأتى الى هذه الجهة سواى .

– اذن فمن المحتمل الا يكون احد قد رآنى ، فضلا عن ان هذه الاشجار تخفينا عن العيان ؟

– أجل ..

– وهل نستطيع أن نتحدث فى حرية ؟

– بلا ريب ..

– سوف تعلمين كل شىء ..

ثم اقترب منها وهو يستطرد :

– سأوجز فى حديثى على قدر الامكان ، فمنذ اربعة أيام كتبت الآنسة جان دار سبيه .

– اننى هى ..

فلم يبال لوبين بمقاطعتها ، واردف :

– كتبت الآنسة جان دارسبيه خطابا الى صديقة لها تدعى مارسيلين وتقيم فى فرساى ..

ففغرت الفتاة فاها دهشة وهى تهتف :

– كيف عرفت ذلك ؟ لقد مزقت الخطاب قبل أن أتمه !..

– نعم .. والقيت بالقصاصات عند حافة لطريق الموصل من القصر الى فاندوم ..

– حقا ! .. لقد كنت يومئذ اتنزه هناك ..

– ولكن هذه القصاصات وصلت الى يدى فى اليوم التالى .. فبان الامتعاض فى وجه الفتاة وهى تقول :

– اذن فقد قرأت ما بها ؟

– أجل ، لقد أتيت هذه الحماقة .. ولكنى لا آسف عليها اليوم ما دمت أستطيع أن انقذك .

– تنقذنى ؟ .. من أى شىء ؟ ..

– من الموت ..

وفاه لوبين بهذه الكلمة فى تمهل ورصانة ، حتى ارتعدت الفتاة وقالت :

– ولكنى لست مهددة بالموت ..

– بل مهددة يا آنستى .. ففى اواخر اكتوبر كنت تقرأين وانت جالسة فى الشرفة فى المكان الذى اعتدت الجلوس فيه فى نفس الوقت من كل يوم ، عندما انفصلت قطعة كبيرة من الحجر من افريز السطح وهوت على قيد اصابع منك ، ولولا ذلك لحطمتك تحتها ..

– انها مجرد مصادفة .

– وفى احدى امسيات نوفمبر الجميلة كنت تجتازين الحديقة فى ضوء القمر فاطلقت عليك رصاصة مرت بجوار أذنك ..

– لقد ظننت ..

- وفى الاسبوع الماضى كنت تعبرين القنطرة الصغيرة المقامة فوق القناة فى اقصى الحديقة ، على قيد مترين من مسقط المياه فى الترعة الكبيرة ، واذا بها تنهــار تحت قدميك فجاة ، فلم تفلتى من الغرق الا باعجوبة اذ تشبثت ببعض الجذور القوية .

فلاحت على شفتى جان دارسييه ابتسامة مغتصبة ، وقالت :

- وليكن .. ولكنى لا ارى فى ذلك كله ، كما كتبت الى صديقتى مارسلين ، الا سلسلة من المصادفات السيئة ..

- كلا يا آنستى العزيزة .. ولو انها كانت مصــادفة واحدة ، او اثنتين ، لهان الامر ، ولكن ليس لنــا ان نفترض تعدد المصادفات ثلاث مرات متوالية ، فتوحيــد المحاولة فى مثل هذه الظروف الخارقة والمدة الوجيزة .. ولهذا سمحت لنفسى ان احضر لنجدتك ، وان الج الحديقة من غير طريق الباب حتى يكــون تدخلى مجديا يؤتى ثمرته .. وهانت ترين اننى جئت فى الوقت المناســب بينما كان العدو يهاجمك مرة اخرى .. رابعة .

- كيف ؟ هل تظن أن الكلب ؟ .. لا .. ليس ذلك ممــكنا !

فالتقط لوبين السلسلة واراها اياها قائلا :

- انظرى الى هذه الحلقة الاخيرة .. ليس ثمة شك فى انها قطعت بمبرد .. ولولا ذلك لــما كان من اليسير أن تتداعى هذه السلسلة القوية .. هاك .. ان آثار المبــرد تبدو واضحة جلية .

فامتقعت الفتاة وظلل الخوف وجهها الجميــل ، ثم قالت :

- ولكن من الذى يمقتنى الى هذا الحد ؟ .. اننى لم اصب احدا بسوء قط ، ومع ذلك فلا ريب انك على حق .. ترى هل يهدد هذا الخطر ابى المسكين كذلك ؟ ..

- الم يحاول احد ان يهاجمه مثلك ؟

- كلا فهو لا يتحرك من فراشه ، ولا يبارح غرفته .. ثم ان مرضه غامض غريب ، فقد غدا فى حالة من الضعف والاعياء حتى لا يستطيع السير على قدميه ، كما تلم به فى بعض الاحايين نوبات يحس فيها كأنه يختنق ويكاد قلبه يكف عن الخفقان .. آه يا للهول ! .

واحس لوبين بانه يســتطيع ان يؤثر فى نفس الفتاة فقال :

- لا تخشى شيئا ايتها الآنسة .. ولست اشك فى النجاح لو اطعتنى طاعة عمياء .

- اجل .. اقنعتنى اود ذلك .. ولكنه امر هائل مروع! ..

- ثقى بى ، واصغى الى فانى فى حاجــة الى بعض المعلومات ..

ومضى يطرح عليها اسئلته الواحد تلو الاخر ، وجان دارسييه تسارع الى اجابته .

- الم يطلق سراح هذا الكلب قبل الآن ؟

- مطلقا ..

- ومن الذى يطعمه ؟ .

- الحارس وهو يحضر له طعامه كل يوم قبيل الغروب .

- اذن ففى وسعه ان يقترب منه دون أن يتعرض للخطر؟

- نعم ، وهو وحده الذى يستطيع ذلك فقد كان الكلب ضاريا شديد الشراسة ..

- الاترتابين فى هذا الرجل ؟

– آه .. باتيست ؟ .. محال ..

– والآخرون ؟

– ان الخدم جميعا شديدو التعلــق بنا ، ويحبوننى كثيرا ..

– اليس لك اصدقاء فى القصر ؟

– ابدا ..

– ولا اخوة ؟

– كلا .

– كان اباك هو الوحيد الذى يستطيع حمايتك ؟

– نعم ، لكنى بينت لك الحالة التى هو عليها ..

– وهل اخبرته بهذه المحاولات المتعددة ؟

– اجل .. ويبدو اننى اخطات فى ذلك ، حتى ان طبيبنا جيرو نهانى عن تعريضه لاقل انفعال ..

– ووالدتك ؟ .

– اننى لا اذكرها فقد ماتت منذ ستة عشر عاما .

– كم كان عمرك وقتئذ ؟

– نحو خمس سنوات .

– وهل كنتم تقيمون هنا ؟

– كنا نقيما فى باريس ولم نبرحها الا فى السنة التالية عندما اشترى ابى هذا القصر .

فاخلد لوبين الى الصمت برهة ، ثم قال :

– حسنا . اننى اشكر لك هذه المعلومات ، وهى تكفينى الآن .. فضلا عن انه ليس من الحكمة ان نظل معا مدة طويلة .

– ولكن سوف يعثر الحارس على جثة الكلب .. فمن الذى قتله ؟

– انت ايتها الآنسة .. انت .. فى سبيل الدفــاع عن حياتك .

– ولكنى لا احمل سلاحا .

– بل يجب ان يعتقد الجميع ان لديك مسدسا ما دمت قتلت هذا الوحش ، فليس من المفروض ان يقتله غيرك .. وبعد فليعتقد كل شخص ما يريد ، فالمهم هو الا يرتاب احد فى عند قدومى الى القصر .

– هل تعتزم المجئ جهرة ؟

– لست ادرى حتى اللحظة كيف افعل ذلك ، ولكنى ساحضر حتما .. وساحضر هذا المساء بالذات .. وانى ادعوك الى الاطمئنان والثقة بى فساسهر على حمايتك .

ونظرت اليه جان ، فرات فى مظهره الهادئ البرئ مايوحى بالثقة حقا ، فقالت فى بساطة :

– اننى واثقة من ذلك ..

– حسنا .. سوف تنتهى هذه الامور الى خير حـال .. الى اللقاء يا آنستى ..

– الى اللقاء .

وابتعدت جان دارسيه ، بينما ظل لوبين يتبعها بنظراته حتى غابت عن عينيه عند زاوية القصر ، فغمغم :

– انها مخلوقة رائعة الحسن ، وحرام ان تصاب بسوء .. ولكن من حسن الحظ ان لوبين الطيب يسهر على حمايتها من الاخطار ..

ثم راح يجوس خلال الحديقة وهو يرهف السمع ، دون ان يعبا بان يراه احد ، باحثا عن الباب الصغير المنخفض الذى رآه من الخارج .. حتى اذا ما اهتدى اليه ، ازاح رتاجه ووضع مفتاحه فى جيبه ، ثم سار الى جوار السور حتى انتهى الى الشجرة التى تسلقها فى قدومه .

وبعد دقيقتين كان يمتطى دراجته .

ولم تكن قرية (موبرتوس) بعيدة عن القصر ، فسرعان ما كان لوبين بها يسأل عن منزل الطبيب .. وعلم انه بجوار الكنيسة فمضى اليه وطلب مقابلته ، فقاده الخادم الى حجرة الفحص حيث وافاه الدكتور جيرو ..

وقدم اليه نفسه باسم بول دوبريه المقيم بشارع سورين بباريس والذى يعمل متطوعا بادارة الامن العام ، طالبا اليه ان يحتفظ بهذا السر .. ثم ذكر له انه علم من قصاصات خطاب ممزق ، بالاحداث التى المت بالانسة جان دارسييه ، فحضر على عجل ليقوم على حماية الفتاة ..

واقر الدكتور جيرو ، وهو طبيب ريفى كهل كان بالغ العطف على جان ، بان الحوادث التى قص عليه لوبين نباها تحمل الدليل الذى لا يقبل الشك على وجود مؤامرة محكمة على حياة الفتاة . واستبدبه التاثر والانفعال .. فدعا زائره الى العشاء واكرم وفادته .

وتحدث الرجلان طويلا حتى اذا ما جن الليل ذهبا معا الى القصر . فصعد الطبيب الى حجرة المريض فى الطابق الاول . واستأذنه فى ان يصحب معه زميلا شابا يريد ان يعهد اليه بالعناية بمرضاه وعملائه لفترة وجيزة يقضيها فى الراحة والاستجمام .

فلما دخل لوبين الحجرة راى جان تقف عند فراش ابيها ، وما لبثت ان غادرتها باشــارة من الطبيب ، وهى تخفى دهشتها من الطريقة البارعة التى لجأ اليها منقذها ليدخل القصر .

وبدأ الدكتور جيرو فحصه للمريض ، بينما راح لوبين يتأمل مسيو دارسييه المسكين ، ويرى آثار الالم واضحة فى وجهه النحيل المعروق ، ودلائل الحمى فى عينيه المتوهجتين

وقد ازدادت شكواه فى ذلك اليوم من الضعف الذى الم بقلبه .

وبعد ان تسمع الدكتور جيرو قلبه ورئتيه مليا ، بدأ المسيو دارسييه يمطره باسئلته فى لهفة واضحة ، وهو يجد اجاباته راحة بالغة وتسكينا لآلامه القاسية .. ثم مضى يتحدث عن جان ويعرب عن ريبته فى ان تكون قد تعرضت لخطر جديد اخفى امره عنه . ولم يفد انكار الطبيب فى تبديد قلقه ، اذ كان يريد ابلاغ الامر الى البوليس ليتولى تحقيقه .. فلما استنفد هذا الانفعال قواه ، ســكن قليلا ثم لبث ان بدأ النعاس يثقل جفنيه .

وانتحى لوبين بالطبيب فى الردهة وساله :

- ما هو رأيك القاطع يا دكتور ؟ هل تظن ان مرض المسيو دارسييه يمكن ان يعزى لاسباب خارجية ؟

- ماذا تعنى ؟

- الا يمكن أن تكون لنفس العدو مصلحة فى اختفاء الاب وابنته معا ؟

وكأنما فوجىء الطبيب بهذا الافتراض ، فقال بعــد تــردد :

- فى الواقع .. فى الواقع أن هذا المرض يبدى احيانا ظواهر شاذة غير عادية .. فهذا الشلل الذى أصاب ساقيه وهو شلل كامل كان يجب أن يستتبع ...

وركن الكهل الى التفكير قليلا ، ثم استطرد فى صوت خافت :

- السم اذن ؟ .. ولكن اى نوع منه .. فلست ارى شيئا من أعراض التسمم قط ، وليس لنا الا ان نفترض .. ولكن .. ماذا دهاك ؟ .. ما الذى حدث ؟

وكان الرجلان وقتئذ يتحدثان أمام حجرة صغيرة ، كانت جان بداخلها تشرع فى تناول عشائها وقد انتهزت فرصة

وجود الطبيب مع أبيها .. قرأها لوبين خلال الباب ترفع قدحا الى شفتيها فترشف منه جرعة او اثنتين ، وعندئذ اسرع اليها يمسك بيدها قائلا :

ـ ما هذا الذى تشربين ؟

فتلعثمت الفتاة وهى تجيب :

ـ انه .. انه قدح من الشاى الساخن .

ـ لقد رايتك تنحينه عن فمك فى تأفف .. فلماذا ؟

ـ لست أدرى .. ولكن خيل الى ..

ـ ماذا ؟

ـ أن بطعمه شيئا من المرارة .. ولكن هذا ناتج بلا ريب من الدواء الذى مزجته به ..

ـ أى دواء .

ـ انه دواء آخذه كل ليلة عند العشاء ، وقد وصفته لى يا دكتور جيرو .. أليس كذلك ؟

فاجاب الدكتور جيرو :

ـ بلى .. ولكن هذا الدواء لا طعم له البتة .. وانت تعرفين ذلك تماما يا جان وتستعملينه منذ خمسة عشر يوما، بينما هذه هى المرة التى ..

فغمغمت الفتاة :

ـ أجل .. أجل .. انها اول مرة حقا .. آه ! اننى اشعر بفمى يحترق ..

فتناول الطبيب القدح ورشف جرعة منه بدوره وما لبث ان بصقها فى اشمئزاز وهو يصيح .

ـ آه ! .. ان الخطأ يبدو مستحيلا .

وفحص لوبين زجاجة الدواء ثم قال :

ـ اين تحفظ هذه الزجاجة اثناء النهار ؟

ولكن جان لم تستطع الاجابة فقد رفعت يـــدها الى صدرها ، وامتقع وجهها ، وزاغت عيناها وهى تلهث قائلة :

ـ أواه ! . اننى أتألم كثير .

وسرعان ما حملها الرجلان الى حجرتها وأرقداها فى فراشها حيث اسعفاها بينما دعا لوبين احدى الخادمات فافهمها ان سيدتها تشكو ألما مفاجئا وامرها بالاسراع الى تلبية طلبات الطبيب ثم هرع الى حجـرة المائدة وراح يفحص الدواليب والاوانى ، ثم هبط الى المطبخ بحجة أن الدكتور جيرو أوفده لفحص طعام المسيو دارسيبه ، وتحدث الى الطاهية والخادم والحارس باتيست الذى كان يتناول طعامه دون أن يشعر أحدهم بغرضه .

فلما عاد التقى بالطبيب على الدرج فسأله عن جـان فاجابه انها نائمة .

ـ أليس هناك خطر عليها ؟

ـ لا ، فمن حسن الحظ انها لم تتناول الا جرعتين أو ثلاثا .. ولكنها المرة الثانية اليوم التى تنقذ فيها حياتهـا فلسوف نجد عند تحليل محتويات هذه الزجاجة الدليل على محـاولة تسميمها .

ـ لا فائدة من التحليل يا دكتور ، فان هذه المحاولة ظاهرة جلية .

ـ ولكن من ؟

ـ لست أدرى بعد .. غير ان الشيطان الذى يعد هذا كله يعرف عادات سكان القصر تماما . وهو يروح ويغدو فى سهولة ويسر ويرتاض فى الحديقة ، ويبرد سلسلة الكلب دون ان يخشى شيئا ، ويمزج السم بالطعام .. وبالاجمال فانه يتحرك ويتصرف كما لو كان يحيا نفس الحياة التى

تحياها تلك او اولئك الذين يبغى الفتك بهم .

ـ اتظن ان الخطر نفسه يهدد المسيو دارسييه ايضا ؟

ـ بلا ريب ..

ـ هل هو احد الخدم ؟ . ولكن ذلك بعيـــد التصديق .. اتظن ؟ .

ـ انني لا اظن شيئا ، فلست اعرف شيئا بعد .. وكل ما استطيع قوله هو ان الموقف بالغ الخطر ، واننا يجب ان نتوقع أسوأ الحوادث .. ان الموت يكمن هنا يا دكتور ، ويجول فى القصر من مكان الى آخر ، وعما قريب سوف ينقض على اولئك الذين يطاردهم ..

ـ الا نستطيع ان نفعل شيئا !

ـ اليقظة التامة يا دكتور .. وارى ان نتظاهر الليلة بان صحة المسيو دارسييه ليست على ما يرام ، ونقضى الليل فى هذه الردهة القريبة من حجرتى الاب وابنته ، فاننا هنا نسمع كل شىء اذا ما تعرض احدهما للخطر ..

واتفقا على ان يتناوبا السهر فينام كل منهما بدوره فوق الاريكة الوحيدة الموجودة بالردهة ..

بيد ان لوبين لم ينم غير ساعتين ثم تسلل فى جنح الظلام دون ان ينبه رفيقه ففتش القصر تفتيشا دقيقا ، وما لبث أن غادره ..

وحوالى الساعة التاسعة كان قد وصـــل الى باريس بدراجته ، حيث كان فى انتظاره اثنان من اعوانه اتصل بهما تلفونيا أثناء الطريق .. فامضى ثلاثتهم اليوم باكمله ، كل من ناحيته ، فى الابحاث التى خطر ببال لوبين ان يقوم بها .

وفى الساعة الســادسة عاد الى القصر .. وقد قص على فيما بعد : انه لم يحدث قط ان عرض حياته للخطر بمثل

ما فعل فى تلك الامسية ، وهو يطوى الارض طيا فى سرعة جنونية ، خلال ذلك الضباب الكثيف الذى لم يقو مصباح الدراجة على تبديد حلكته ..

فلما بلغ القصر أسرع يرقى الدرج على عجل ولم يجد احدا فى الردهة الصغيرة ، فلم يتردد واندفع الى حجرة جان ففتح بابها فى لهفة دون ان يقرعه .. وهناك وجد الدكتور جيرو جالسا الى جوار الفتاة وهو يبادلها الحديث .

فقال لاهثا : آه .. انت هنا ؟

وعجب الطبيب اذ راى مبلغ انفعال ذلك الرجل الذى لم يعهده الا ساكنا رزينا ، فساله :

ـ ماذا ؟ .. هل من جديد ؟

ـ لاشىء .. لا شىء البتة .. وهنا ؟

ـ ولا هنا .. فقد تركنا مسيو دارسييه الان ياكل فى شهية طيبة بعد ان قضى يوما هادئا .. اما جان فقـــد استرددت قواها ولونها الجميل ، كما ترى ..

ـ اذن فيجب ان نرحل حالا ..

فدهشت الفتاة وابتدرته قائلة :

ـ ارحل ؟ هذا محال ..

فصاح لوبين وهو يقرع الارض بقدمه فى عنف :

ـ بل لا بد ان نرحل ..

وما لبث ان استعاد هدوءه فغمغم معتذرا .. ثم اخلد الى صمت عميق حرص الطبيب وجان خـــلاله على ان لا يقطعها عليه تفكيره ..

واخيرا قال للفتاة :

ـ سوف ترحلين فى الغد يا آنسة دارسييه لمدة اسبوع أو اسبوعين .. وساصحبك بنفسى الى صديقتك المقيمـــة

في فرساي .. ولذا ارجو ان تعدى كل شيء منذ الليلة .. ولا داعي لاخفاء الامر فيمكنك ان تخبرى الخدم .. وسوف يتفضل الدكتور جيرو من ناحيته بابلاغ المسيو دارسيه وافهامه ، بكل انواع الحيطة الممكنة ، ان هذه الرحلة لازمة لسلامتك ، وسوف يلحق بك ابوك متى سمحت له قواه بذلك .. فهل توافقين ؟ .

واحست الفتاة كأن لوبين يسيطر عليها بصوته الآمر ، فقالت :

ـ نعم ..

ـ اذن اعدى نفسك سريعا .. ولا تبرحى حجرتك الليلة قط .

فارتعدت الفتاة واعترضته قائلة :

ـ ولكن .. هل تتركانى بمفردى ؟ ..

ـ لا تخشى شيئا .. واذا كان هناك اقل خطر يتهددك فسوف نعود سريعا . ولكن المهم هو الا تفتحى باب حجرتك الا اذا سمعت ثلاث طرقات خفيفة ..

واستدعت جان خادمتها لتعد لها حقيبتها ، بينما مضى الدكتور جيرو الى حجرة المسيو دارسيه على حين ذهب لوبين ليتناول طعاما خفيفا في الردهة الصغيرة ..

وعاد الطبيب بعد عشرين دقيقة وهو يقول :

ـ لقد انتهت مهمتى ، ولو لم يعترض المسيو دارسيه كثيرا .. بل انه كذلك يجد من الاصوب ان تبتعد جان عن هذا الجو الى ان يزول الخطر ..

وبعد قليل كان الرجلان يغادران القصر . فلما اجتازا الباب قال لوبين للحارس :

ـ يمكنك ان توصد الباب يا صديقى . واذا احتاج المسيو دارسيه الينا فليأت احد لاستدعائنا فورا ..

ودقت ساعة الكنيسة العاشرة .. وكانت السحب القاتمة تحجب وجه السماء الا من ثغرات قليلة يتسرب منها ضوء القمر بين حين وآخر .. وسار الرجلان في صمت نحو مائة خطوة ، واذا بلوبين يتوقف فجأة وهو يمسك بذراع رفيقه قائلا في همس : قف ! .

فصاح الطبيب فزعا : ماذا هنالك ؟

فاجابه لوبين في صوت متهدج :

ـ لو صح حدسي ، ولم اكن اتيه في مجاهل هذا السر ، فانه في هذه الليلة بالذات سوف تقتل الآنسة دارسيه ..

فانتفض الدكتور جيرو وقال في هلع :

ـ ها ! . ما هذا الذي تقول ؟ ولماذا غادرنا القصر اذن ؟

ـ لقد قصدت ذلك حتى لا يتمهل المجرم ، الذي يتتبع حركتنا في الظلام ، في ارتكاب جريمته .. وانما يقدم على فعلته في الوقت الذي حددته انا ، لا في الوقت الذي يختاره هو ..

ـ انعود الى القصر اذن ؟

ـ بلا ريب .. ولكن كلا منا سيذهب من ناحية .

ـ هيا بنا على عجل اذن ..

فقال لوبين في رزانة :

ـ مهلا يا دكتور واصغ الى جيدا ، فيجب اولا ان نفسد كل محاولة يقوم بها الجانى لمراقبتنا ، ولذا فانك ستعود الآن الى منزلك مباشرة ، ثم تغادره بعد دقائق عندما تتأكد من ان احدا لم يكن يتبعك ، وعليك ان تسير بجوار السور من الناحية اليسرى الى ان تجد باب الحديقة الصغير ،

وما مفتاحه ، حتى اذا ما سمعت الساعة تدق الحادية عشرة فافتح الباب فى هدوء وسر الى الشرفة الخلفية . وسوف تجد النافذة الخامسة غير محكمة الغلق وما عليك الا ان تدفع مصر اعيها قليلا فيستجيبا لك . فاذا بلغت حجرة الآنسة دارسييه فاقرع بابها بالطريقة المتفق عليها ثم اغلقه بالرتاج بعد ان تدخل ، ولا تتحرك قط . هل سمعت جيدا ؟ لا يتحرك احدكما مهما حدث مطلقا . وبهذه المناسبة فانى لاحظت انها تترك نافذة المخدع الصغير المجاور لحجرتها مفتوحة . اليس كذلك ؟

- بلى ، وانا الذى عودتها هذه العادة .

- انه سوف يأتى عن طريقها .

- وانت ؟

- ساحضر من هذا الطريق ايضا ..

- وهل .. هل عرفت من هو ذلك التعس ؟

- فتردد لوبين لحظة واجاب :

- كلا .. لست اعرفه ، ولكنا سنعرفه حتما ، غير انى ارجوك فى الحاح ان تكون رابط الجاش ، وان يظل كلاكما ساكنا ، فلا كلمة ، ولا حركة مهما حدث . هل تفهم ؟ مهما حدث .

- لك ذلك .

- بل اننى اطالبك بوعد قاطع يا دكتور .

- اننى اعدك .. بشرفى .

وسار الطبيب فى طريقه ، بينما ارتقى لوبين تلا قريبا يستطيع أن يرى من فوقه نوافذ القصر التى كان الضوء ينبعث من اكثرها ، فانتظر حتى اطفئت انوارها الواحدة فى اثر الاخرى ، وعندئذ أتخذ طريقه الى السور من الناحية

اليمنى حتى بلغ المكان الذى تسلق الشجرة فيه بالامس . ولبث منتظرا الى ان سمع الساعة تدق الحادية عشرة ، فلما مضت بعد ذلك فترة أخرى قدر لوبين أنها كافية لان يجتاز الطبيب الحديقة ويدخل القصر ، غمغم قائلا :

ـ لا ريب ان الدكتور جيرو قد بلغ مركزه الآن . فهيا يا لوبين فان العدو لن يتأخر عن أن يضرب ضربته الاخيرة، ويجب ان تكون هناك ..

وجذب اليه غصن الشجرة كما فعل من قبل ، فاجتاز به الجدار المرتفع ، ثم زحف فوقه الى أن بلغ الاغصان الداخلية وهم بالانزلاق منها الى الحديقة .

وعندئذ جمد فى مكانه وراح يرهف السمع ويدقق النظر تحته . فقد خيل انه يسمع صوت تحطيم اغصان جفة .

وما لبث أن ارى شبحا اسود يتحرك فى الحديقة على قيد ثلاثين مترا منه وهو يتجه ناحيته ، فغمغم : يا للعنة ! لقد احس الوغد بالدور الذى العبه .

وفى هذه اللحظة نفذ شعاع من القمر بين السحب مبدد الظلام بحيث رأى لوبين الرجل فى وضوح وهو يرفع بندقيته الى كتفه ويسددها نحوه ، فاراد أن يقفز الى الارض ، وتحول من مكانه قليلا ، ولكنه احس بصدمة عنيفة فى صدره ، ودوى فى الفضاء صوت الطلق النارى ، فاطلق صيحة مروعة . ثم ما لبث ان هوى يتدحرج بين الاغصان كجثة هامدة .

★ ★ ★

وفى هذه الاثناء كان الدكتور جيرو قد تسلق النافذة الخامسة كما اشار عليه لوبين ، واتجه فى حذر بالغ الى الطابق الاول حيث قرع باب الفتاة ثلاث طرقات

حقيقة ... ففتحته جان وكانت لا تزال فى ثيابها العادية ، فدخل واحكم غلق الباب خلفه ثم قال لها فى همس :

ـ ارقدى فى فراشك ، وتظاهرى بالنـــوم .. آه .. ان البرد قارس هنا ، فهل نافذة المخدع المجاور مفتوحة ؟

ـ نعم .. اتحب ان .. ؟

ـ لادعيها .. فسوف يأتى منها !

ـ ولكن من هو ؟ . هل ترتابون فى شخص بعينه ؟

ـ لست ادرى من هو ، ولكنه شخص يختفى فى القصر او فى الحديقة ..

فتعلقت الفتاة بذراعه وغمغمت :

ـ شد ما انا خائفة ! ..

ـ لا .. لا تخشى شيئا يا ابنتى فان ذلك الفتى الذى يقوم على حمايتك يبدو بالغ القوة ، شديد الثقة فى نجاح خطته .. ولاشك انه فى الحديقة يرقب المجرم ويترصده .

واطفا الطبيب المصباح الصغير الذى كان يضىء الحجرة ثم اقترب من النافذة وازاح الستار عنها ولكنه لم يرد الا جزءا يسيرا من الحديقة اذ كان يحيط بالطابق الاول من القصر افريز عريض من البناء لا يسمح برؤية ما تحته ، وما لبث ان عاد الى قرب الفراش .

ومضت الدقائق شاقة مضنية تبدو لهما طويلة حتى لاتكاد تنتهى ، بينما كانت دقات الساعة تبلغ مسمعهما عن بعد خلال اصوات الليل الخافتة ، وهما يرهفان الســـمع بكل حواسهما واعصابهما المتوترة .

وعلى حين غرة همس الطبيب :

ـ هل سمعت ؟ ..

فجلست جان فى فراشها ، وهى ترتعد هلعا ، وغمغمت نعم .. نعم ..

ـ استلقى فى الفراش .. فان بعضهم آت ..

وبلغ سمعهما صوت ارتكاز جسم صلب على افريز الجدار خارج النافذة ، ثم تلت ذلك اصوات اخرى خافتــه لم يتبينا كنهها ، ولكنهما ايقنا ان نافذة المخـــدع المجـــاور قد فتحت على مصراعيها اذ شعر بتيار بارد من الهـــواء يهب عليهما .

وبغتة ، وضح الامر امامهما .. فقد كان هناك شخص ما بالقرب منهما .

وظل الطبيب مكانه وقد امسك بمسدسه بيده المرتعدة ، لا يقوى على الحراك ، وهو يذكر الحاح لوبين ويحاذر ان يأتى امرا مخالفا .

وكان الظلام يشمل الحجرة بحيث لم يســـتطيعا رؤية العدو ، ولكنهما احسا بوجوده ، وكانا يتبعان حـــركاته الخفية ، وسيرة الوئيد الحذر فى المخدع ، حتى اجتـــاز الباب الفاصل بين الحجرتين .

وتوقف العدو .. انهما واثقان من ذلك .. وكانت وقفته على قيد خطوات من الفراش ، بلا حراك ، وكأنه يتردد بين الاقدام والاحجام ، وهو يحاول ان يخترق حجب الظلام بنظراته الحادة النفاذة .

وكانت يد جان فى يد الطبيب ، والعرق البارد يتصبب منها غزيرا ، بينما كان هذا يشدد الضغط على مســـدســـه بيده الاخرى وقد وضع اصبعه على الزناد .. فمـــا كان ليتردد فى اطلاق النار على رغم وعده للوبين لو ان الجانى استمر فى تقدمه الى حافة الفراش .

وتحرك الشبح خطوة .. ثم وقف ثانيا ..

وكان الصمت مروعا .. ذلك الصمت الثقيـــل الذى يجثم فوق اشخاص تلفهم الظلمات الحالكة ، ويرقب بعضهم بعضا فى لهفة وحذر .

ترى من هذا الذى يتسلل فى اعماق الليل ؟ .. من هو هذا الرجل ؟ واى حقد هائل ذلك الذى تنطوى عليـــه جوانحه فيدفعه ضد الفتاة المسكينة ؟ واى غرض مريع ذلك الذى جاء يسعى وراءه الآن ؟

فعلى الرغم من ذعرهما الشديد ، كانت جان والطبيب فى لهفة جارفة لان يريا ويعرفا الحقيقة ، وان يتبينـــا وجه العدو الذى يقنعه الظلام ..

وتقدم خطوة ثانية ، وثالثة .. وخيل اليهما ان شبحه وهو احلك من الظلام الذى يجاوره ، ينفصل عنـه ، وان يده ترتفع فى بطء وتمهل .

ومضت برهة أخرى .. وبغتـــة سمعا صـــوتا حادا يصدر من ركن الحجرة عن الشبح .. ثم انبعث ضوء باهر قوى انعكس فوقه ، واضاء وجهه وغمره فى قســـوة بالغـــة ..

وعندئذ صاحت جان صيحة فزع مدوية ... فقد رات الرجل منتصبا أمامها وخنجرة مشرع فوق راسها .. راته وعرفته .

فقد كان .. اباها ! .

وفى نفس اللحظة اطفىء النور .. بينمـــا دوى طلق نارى .. اطلقه الطبيب .. فصاح به لوبين :

ـ كفى لا تطلق ثانية ..

ثم اسرع يمسك بذراعه بينما كان هذا يقول فى صوت شبيه بالحشرجة :

ـ ارايت ؟ .. ارايت ؟ .. اصغ ، انه يفر .

ـ دعه يفر .. فذلك خير له ..

واضاء لوبين مصباحه الكهربائى مرة اخرى ، ثم هرع الى المخدع فراى الرجل يختفى خلال النافذة .. فعاد الى الحجرة ثانية ، واضاء مصباحها .

وكانت جان ترقد فى فراشها فاقدة الرشد وقد شحب وجهها حتى غدا كوجوه الموتى .. بينما تهالك الطبيب فى مقعده وهو يتمتم بكلمات غير مفهومه ..

فقال لوبين ضاحكا :

ـ هدىء روعك يا صديقى فلم يعد هناك ما نخشاه .. بعد ان انتهى كل شىء .

فقال الآخر فى صوت اشبه بالعويل :

ـ أبوها ؟؟ .. أبوها ؟

ـ معذرة يا دكتور ، فما هذا وقت الحـديث .. اذ ان الانسة دارسييه فى حاجة لمعونتك حتى تفيق من اغمائها .

ودون ان يضيف كلمة اخـــرى ، مضى لوبين الى المخدع وعبر النافذة الى الافريز ذا الخـــارجى فراى ســـلما خشبيا مستندا الى الحائط حتى وجد سلما من الحبـــال ارتقاه فى عجلة واذا به يجد نفسه فى حجرة مسيو دراسية .. وكانت خالية .

فغمغم قائلا لنفسه :

ـ لقد راى حـرج مركزه فركن الى الفرار .. حسنا .. مع السلامة .. ولا ريب ان الباب مغلق من الداخل ؟ .

تماما اذن فقد كان مريضنا المسكين يستغل ذلك الرجـــل الطيب الدكتور جيرو ، ويدعى المرض ، بينما يقوم فى الليل

ويثبت سلم الحبال الى النافذة ثم يعد جرائمه وهو آمن مطمئن .. انه ليس غبيا ، دراسييه هذا .

وفتح الباب وعاد الى حجرة جان ، بينما كان الطبيب يغادرها ،فاخذه الى الردهة وهو يقول :

ـ انها نائمة فلا تقلقها .. لقد كانت الصدمة شديدة الوطأة عليها ولا ريب انها ستستغرق وقتا طويلا حتى تشفى من آثارها ..

فتناول لوبين قدحا من الماء رشفه فى تمهل ، ثم جلس قائلا :

ـ سوف يزول ذلك كله غدا .

ـ ماذا تقول ؟

ـ اقول ان آثار الصدمة ستزول عنها فى الغد .

ـ لماذا ؟ ـ لانه يخيل الى ان الانسة دراسييه لا تكن لابيها عاطفة قوية .

ـ وماذا يهم ؟ فكر فى هذا .. اب يريد ان يقتل ابنته ! اب كان يدبر وينفذ محاولاته الفظيعة اربع مرات او خمس خلال بضعة شهور ! . اليس فى ذلك ما يحطم قلبا رقيقا مثل قلب جان ؟

واى ذكرى مفجعة ستظل تحملها الى الابد ؟

ـ سوف تنساها عاجلا ..

ـ انها لن تستطيع النسيان قط ..

ـ بل ستستطيع يا دكتور .. لسبب بسيط جدا .

ـ ولكن تكلم اذن ..

ـ ان المسيو دراسييه .. ليس اباها .

ـ ها ؟ ! .

ـ انها ليست ابنة ذلك التعس .

ـ كانك تهذى يا عزيزى دوبرية .. مسيو دراسييه ؟

ـ انه ليس سوى زوج امها .. فقد مات ابوها ، ابوها الحقيقى ، على اثر ولادتها ، وتزوجت امها احد ابناء عم زوجها ، ويحمل نفس الاسم مثله . فلما ماتت الام فى العام الثانى لزواجها تركت جان لرعاية مسيو دراسييه هذا ، الذى اخذها فى رحلة الى الخارج ثم عاد فاشترى هذا القصر .. ولما لم يكن احد يعرفه فى هذه الانحاء فقد قدم الطفلة للجميع باعتبارها ابنه ، بل انها هى نفسها كانت تجهل الحقيقة .

وظل الطبيب مشدوها لحظة ثم غمغم :

ـ هل انت على يقين مما تقول ؟

ـ لقد قضيت يومى بين مكاتب التسجيل فى باريس انقب فى وثائق الوفاة والزواج ، وسالت اثنين من موثقى العقود ورايت كل المستندات حتى لم يبق هناك مجال للشك

ـ ولكن هذا لا يفسر الجرم ، او بالاحرى لسلسلة الجرائم؟

ـ بلى .. فمنذ اللحظة الاولى التى توليت فيها هذه القضية استرعيت انتباهى عبارة قالتها الآنسة دراسييه فاوحت الى بالوجهة التى اتخذها فى بحثى .. فقد قالت انها كانت فى الخامسة من عمرها عندما ماتت امها منذ ستة عشر عاما فكان جان توشك ان تبلغ الحادية والعشرين، وبمعنى آخر انها على وشك بلوغ سن الرشد .. وقد رايت هذه النقطة جديرة بالاهتمام ، اذ ان الآنسة دارسييه كانت الوريثة الوحيدة لامها ، فماذا كان مركزها المالى ؟ . ولم يخطر الاب على بالى وقتئذ قط اولا لان المهزلة التى كان يمثلها دارسييه وهو طريح الفراش ، مريضا عاجزا ..

فقاطعه الطبيب :

ـ ولكنه كان مريضا حقا ..

ـ .. كان مريضا بقلبه ، ولكنه لم يكن مشـلول الساقين كما رأيت ، وقد كان ذلك كله كافيا لابعـاد الشبهة عنه ، فضلا عن انه هو نفسـه ، فيما خيل الى ، تعرض لهجمات اجرامية كالتى تعرضت لها ابنته . ولكن رحلتى الى باريس جلت لى الحقيقة ، فقد ورثت جان عن امها ثروة طائلة ، وكان لمسيو دراسييه حق الانتفاع بهذه الثروة الى ان تبلغ الفتاة سن الرشد .. وكان يجب ان يدعى الى باريس فى الشهر القادم ، ليقدم حسابا عن مهمته ، وبذلك تظهر الحقيقة للملأ ، وفى ذلك دماره ..

ـ كانه لم يحتفظ بثروة الفتاة ؟ .

ـ لقد اضاع جزءا كبيرا منها على اثر مضاربات خاسـرة .

ـ ولكن .. ربما لم تطالبه الفتاة بحساب عن ذلك ؟

ـ هناك نقطة صغيرة تجهلها يا دكتور ، وقد عرفتها من قراءة الخطاب الممزق ، فان الآنسة دراسييه تحب شقيق صديقتها المقيمة فى فرساى . ولما كان المسيو دراسييه يعترض على زواجها منه ، للسبب الذى ذكرته لك ، فقد كانت تنتظر بلوغها سن الرشد لتحقيق امنيتها .

فاخلد الطبيب الى الصمت لحظة ، ثم تنهد قائلا :

ـ حقا .. ان فى هذا خراب الرجل تماما :

ـ اجل .. ولذلك لم يكن امامه سوى فرصة واحـدة هى موت ابنة زوجته التى كان هو وريثها الوحيد .

ـ على شرط الا يرتاب احد فى موتها ؟

ـ تماما .. وهذا هـو الذى دعاه الى رسـم تلك الخطة الجهنمية ، فراح ينصب حبائله ، ويعد هذه السلسلة من الحوادث حتى يبدو موتها عارضـا لا جريمة فيـه ، واردت ان اعجل سير الامور ، فطلبت اليك ان تبلغه سفر جان فى الغد . وعندئذ كان على هذا المتمارض المافون ان يعمل ، وان يعمل فى سرعة دون أى أعـداد سابق او تنفيذ خطة مدروسة بعناية كما فعل من قبل . اجل كان عليه ان يبادر الى التخلص من ربيبته ، بالقتل الصريح وبالسلاح الذى يجده فى متناول يده . ولم اشك لحظة واحدة فى انه سيقدم على هذه الخطوة . وقـد صـح حدسى كما رايت .

ـ ولكن لم يشك فى شىء قط ؟

ـ لقد ارتاب فى ، وكانما كان يتوقع عودتى اثناء الليل فظل يترصدنى فى نفس المكان الذى عبرت الجدار عنده .

فقال الطبيب فى لهفة : وبعد ؟ .

ـ وبعد ؟ . لقد تلقيت رصاصة فى صدرى ، او بالاحرى فى محفظتى . انظر .. لقـد ثقبتها الرصاصة ولكنها لـم تخترقها ، وبذلك نجوت من موت محقق اذ اخذنى الوغد على غرة . وعندئذ هويت من الشجرة كجثة هامدة ، فاعتقد انه تخلص من خصمه الوحيد ، وسـار الى القصر فظل يجول حوله نحو ساعتين .. ثم استقر عزمه على تنفيذ خطته فاحضر ذلك السلم الخشبى وتسلقه الى النافذة . فتبعته اليها .. ففكر الطبيب ثم قال : ـ الم يكن فى وسعك ان تقبض على عنقه قبل ذلك ! لماذا تركته يصعد ويـروع الفتاة ؟ .. لقد كانت تجربة قاسية لجان ....

ـ لم يكن هناك بد من ذلك . فما كانت الآنسة دراسييه

لتصدق هذه الحقيقة قط .. كان يجب أن ترى وجه القاتل بنفسها .. وسوف نخبرها بالحقيقة بعد أن تستيقظ في الصباح ، وستشفى من هذه الصدمة عاجلا .

- ولكن مسيو دارسييه .

- يمكنك أن تفسر اختفاءه كما تريد قل انه سافر في رحلة مفاجئة ، أو اعترته نوبة من الجنون ، وثق انك لن تسمع عنه أبدا .

فهز الطبيب رأسه وما لبث أن قال :

- أجل .. انك على حق لقد قمت بمهمتك في مهارة ولباقة خارقة ، وسوف تشكر لك جان صنيعك فانها مدينة لك بحياتها .. ولكن .. الا أستطيع انا أن أفيدك في شيء ؟ لقد اخبرتني أنك تعمل متطوعا بادارة الامن العام ، فهلا تسمح لي بان اكتب اليها مطريا مسلكك وشجاعتك ؟

فانفجر لوبين . يقهقه في مرح ، ثم قال :

- بلا ريب .. بلا ريب وان خطابا كهذا يفيدني . ابلغ الفائدة ويمكنك ان تكتب الى رئيسي ، كبير المفتشين جانيمار ، فسوف يسره كثيرا أن يقوم ربيبه ، بول لدوبريه المقيم بشارع سبرين ، بمثل هذا العمل الصاروخي ، فالواقع انني كنت أعمل معه في مهمة رائعة ، ولكنني تركتها مؤقتا وخففت لنجدة الآنسة دراسييه ، وهي قصة الشملة الحريرية الحمراء ، ولعلك سمعت عنها ؛ ولكنه سيبتهج أشد الابتهاج عندما يسمع عني ثانية .



٢ ـ ادليث سوان

- ما هو رأيك الحقيقي في المفتش جانيمار يا لوبين ؟

- انه رجل عظيم يا صديقي ..

- رجل عظيم ! اذن لماذا لا تدع فرصة تمر دون أن تجعل منه سخرية الناس جميعا !

- انها عادة سيئة شد ما آسف لها ! .. ولكن ماذا في وسعي أن أقول ! .. هكذا تجري الدنيا يا صديقي !

فهنا رجل بارع من رجال الشرطة ، بل هنا نخبة عظيمة من الرجال الافذاذ حماة القانون والنظام ، يقومون على حمايتنا من الاشرار والمجرمين . ويعرضون حياتهم للاخطار في سبيل اناس شرفاء مثلك ومثلي .. ومع ذلك فانهم لا يلقون منا سوى السخرية والاستهزاء والزراية أليس ذلك هو الجنون بعينه !

- مرحى يا لوبين . انك تتكلم كاحد دافعي الضرائب المحترمين ..

- وما عساي أن أكون غير ذلك ! .. ربما كانت لي وجهة نظر معينة فيما يملكه سائر الناس ولكنني أؤكد لك انه اذا تعرض مالي للخطر فان الامر يختلف كثيرا .. يا الهي ! .. انني لا أتصور أن يضع شخص ما يده على شيء يخصني .. فعندئذ أدافع عنه الى آخر نقطة من دمائي ، لانني انما ادافع عن جيبي ومالي .. ان لي يا صدقي روح الرجل المحافظ ، وغريزة التاجر المتقاعد ، واحترام التقاليد والحقوق .. وهذا هو سبب ما اكتبه لجانيمار من التقدير وعرفان الجميل .

- ولكنك لا تكن له كثيرا من الاعجاب !

ـ بلى ! اننى أعجب به اعجابا بالغـا ، لانه فضـلا عما يتصف به من الجراة والشجاعة اللتين يتسم بهمـا سـائر أولئك الصناديد الأبطال رجـال ادارة المباحث الجنائية ، فانه يمتاز عنهم بصفات عظيمـة مثل قـوة العزيمة ، ونفاذ البصيرة ودقة الحكم .. ولقد راقبته أثناء العمل فرأيت منه الشيء الكثير . أتذكر قضية اديث سوان، كما كانت تدعى ؟

ـ اننى لا اعلم عنها الا ما يعلمه سائر الناس .

ـ اذن فانت لا تعلم عنها شيئا قط .. حسنا .. اننى اجرؤ على القول بان تلك القضية كانت بين مغامراتى اعظمها تدبيرا ، وابلغها حـذرا وحيطة ، وأدقها احكاما واشدها غموضا وابهاما . كانت كأنها مباراة فى الشطرنج تؤدى بادق القواعد الحسابية التى تخضع لها هذه اللعبة .. ومع رموزها وطلاسمها ، وهو صاحب الفضل الاول فى انهم الآن يعرفون حقيقتها فى ادارة البوليس ، وهى حقيقة أؤكد لك ان الجمهور لا يعلم عنها شيئا ..

ـ هل لى أن ارجو سماعها منك !

ـ بلا ريب .. سوف اقصها عليك ذات يوم .. عندما يتسـع لى الوقت ..

ولم اكن اقابل لوبين كثيرا ، كما انه ما كان ليقص على مغامراته الا نادرا ، عندما يطيب له ذلك .. ولذا فانى لم استجمع وشائج هذه المغامرة الا بعد وقت طويل ، وعلى دفعات متعددة . حتى استطعت أخيرا ان الم بادق تفاصيلها .

ولما كانت أهم الحوادث البارزة معروفة للناس جميعا ، فلن اسهب فى ذكرها :

★ ★ ★

حدث منذ ثلاث سنوات ، عندما وصل قطار برست الى رين أن وجد باب أحدى عربات الامتعة محطما .. وكانت هذه الغرفة مخصصة لامتعة غنى برازيلى يدعى الكولونيل سبارمينتو يسافر مع زوجته فى نفس القطار ، كما كانت تحوى مجموعة كاملة من السجاجيد النفيسة التى تعلق على الجدران . فتبين ان الصندوق الذى توجد بداخله احدى هذه المعلقات الثمينة قد كسر واختفت . السجادة منه ..

واقام الكولونيل سبارمينتو الدنيا واقعدها ، وتقـدم الى القضاء مطالبة شركة السـكة الحديدية بتعويض ضخم لا عن السجادة المسروقة فحسب ، بل لان هذه السـرقة افقدت المجموعة قيمتها ..

وتولى البوليس التحقيق .. وعرضت الشركة مكافأة جسيمة لمن يرشـد الى السـارق . وبعـد اسـبوعين حمل البريد خطابا غفلا من الامضاء يبلغ فيـه كاتبه السلطات بأن السرقة نفذت بتدبير من أرسين لوبين ، وأن السجادة سترسل فى اليوم التالى طردا الى الولايات المتحدة .. وفى نفس الليلة وجدت السجادة داخل حقيبة كبيرة فى حجرة الامتعة بمحطة سـان لازار ..

اذن فقد فشلت الخطة ! . وبلغ الضيق بلوبين حـدا جعله يرسل الى الكولونيل سبار مينتو خطابا ينفث فيه من حنقه وغضبه ، وختمه بهذه العبارة الجلية :

« لقد كان تبصر أو حكمة منى أن أخذت سجادة واحدة فقط ، ولكنى فى المرة القادمة ساخذ الاثنتى عشرة كلها » .

وكان الكولونيل سبار مينتو يقيم منذ بضعة شهور فى منزل ذى حديقة صغيرة عند ملتقى شـارعى فيزاندرى وديفرينوا .. وكان متزوجا من امراة انجليزية بالغـة

ـ بلى ! اننى أعجب به اعجابا بالغا ، لأنه فضلا عما يتصف به من الجراة والشجاعة اللتين يتسم بهما سائر أولئك الصناديد الأبطال رجال ادارة المباحث الجنائية ، فانه يمتاز عنهم بصفات عظيمة مثل قوة العزيمة ، ونفاذ البصيرة ودقة الحكم .. ولقد راقبته أثناء العمل فرايت منه الشىء الكثير . اتذكر قضية اديث سوان، كما كانت تدعى ؟

ـ اننى لا اعلم عنها الا ما يعلمه سائر الناس .

ـ اذن فانت لا تعلم عنها شيئا قط .. حسنا .. اننى اجرؤ على القول بان تلك القضية كانت بين مغامراتى اعظمها تدبيرا ، وابلغها حذرا وحيطة ، وادقها احكاما واشدها غموضا وابهاما . كانت كأنها مباراة فى الشطرنج تؤدى بادق القواعد الحسابية التى تخضع لها هذه اللعبة .. ومع رموزها وطلاسمها ، وهو صاحب الفضل الاول فى انهم الآن يعرفون حقيقتها فى ادارة البوليس ، وهى حقيقة أؤكد لك أن الجمهور لا يعلم عنها شيئا ..

ـ هل لى أن أرجو سماعها منك !

ـ بلا ريب .. سوف اقصها عليك ذات يوم .. عندما يتسع لى الوقت ..

ولم أكن اقابل لوبين كثيرا ، كما انه ما كان ليقص على مغامراته الا نادرا ، عندما يطيب له ذلك .. ولذا فانى لم استجمع وشائج هذه المغامرة الا بعد وقت طويل ، وعلى دفعات متعددة . حتى استطعت اخيرا ان الم بادق تفاصيلها . ولما كانت اهم الحوادث البارزة معروفة للناس جميعا ، فلن أسهب فى ذكرها :



حدث منذ ثلاث سنوات ، عندما وصل قطار برست الى رين أن وجد باب احدى عربات الامتعة محطما .. وكانت هذه الغرفة مخصصة لامتعة غنى برازيلى يدعى الكولونيل سبارمينتو يسافر مع زوجته فى نفس القطار ، كما كانت تحوى مجموعة كاملة من السجاجيد النفيسة التى تعلق على الجدران . فتبين أن الصندوق الذى توجد بداخله احدى هذه المعلقات الثمينة قد كسر واختفت . السجادة منه ..

واقام الكولونيل سبارمينتو الدنيا واقعدها ، وتقدم الى القضاء مطالبة شركة السكة الحديدية بتعويض ضخم لا عن السجادة المسروقة فحسب ، بل لان هذه السرقة افقدت المجموعة قيمتها ..

وتولى البوليس التحقيق .. وعرضت الشركة مكافاة جسيمة لمن يرشد الى السارق . وبعد أسبوعين حمل البريد خطابا غفلا من الامضاء يبلغ فيه كاتبه السلطات بان السرقة نفذت بتدبير من ارسين لوبين ، وأن السجادة سترسل فى اليوم التالى طردا الى الولايات المتحدة .. وفى نفس الليلة وجدت السجادة داخل حقيبة كبيرة فى حجرة الامتعة بمحطة سان لازار ..

اذن فقد فشلت الخطة ! . وبلغ الضيق بلوبين حدا جعله يرسل الى الكولونيل سبار مينتو خطابا ينفث فيه من حنقه وغضبه ، وختمه بهذه العبارة الجلية :

« لقد كان تبصر أو حكمة منى أن اخذت سجادة واحدة فقط ، ولكنى فى المرة القادمة ساخذ الاثنتى عشرة كلها ».

وكان الكولونيل سبار مينتو يقيم منذ بضعة شهور فى منزل ذى حديقة صغيرة عند ملتقى شارعى فيزاندرى وديفرينوا .. وكان متزوجا من امراة انجليزية بالغة

الجمال ، رائعة الحسن ، افزعها تهديد لوبين ، فراحت ترجو زوجها أن يبيع المعلقات بأى ثمن ، ولكن الكولونيل كان من شدة المراس وقوة الشكيمة بحيث ابى أن يستمع الى ما دعاه « نزوة امرأة » فلم يبيع شيئا وانما مضى يتخذ من ضروب الحيطة والاحتراس ما يجعل اية محاولة للسطو على منزله مستحيلة ..

فبدأ اول ما بدأ ، بسد نوافذ الطابقين الارضى والاول التى تطل على شارع ديفرينوا حتى يقتصر الحراسة على الحديقة الامامية للمنزل .. ثم عهد بهذه الحراسة الى احد المكاتب المختصة بحماية المنازل الخاصة من اللصوص .. واخيرا زود جميع نوافذ البهو الذى وضعت فيه السجاجيد باجهزة خاصة ضد السطو لا يعرف مكانها سواه فلا يكاد يلمسها احد حتى تضاء الانوار فى المنزل جميعه ، وتنبعث مجموعة وافرة من الاجراس والنواقيس دويا عاليا متصلا ..

وعلى الرغم من ذلك كله ، فقد أبت شركات التأمين التى لجأ اليها أن تقبل التعاقد معه ، مهما كان الجعل الذى يدفعه جسيما ، الا اذا رضى أن يسمح لثلاثة رجال، تعينهم هذه الشركات ويدفع هو اجورهم ، بالمبيت كل ليلة فى الطابق الاسفل من المنزل .. واختاروا لذلك ثلاثة من المخبرين المتقاعدين وهم من الاشخاص المجربين الجديرين والذين كانوا جميعا يمقتون لوبين مقتا لا حد له اما الخدم فقد كان الكولونيل يعرفهم منذ سنوات عديدة ، وهو على استعداد لضمانتهم ..

وبعد أن اتم الكولونيل هذه الخطوات ، واعد وسائل الدفاع عن المنزل كأنه حصن منيع ، اقام حفلة استقبال

كبيرة دعا اليها لفيفا من السيدات والصحفيين ورجال الفن والنقاد المعروفين ..

واحس هؤلاء جميعا وهم يجتازون بوابة الحديقة كأنهم يقادون الى السجن .. فقد وقف رجال الشرطة الثلاثة فى اسفل الدرج يطلبون من كل مدعو بطاقة الدعوة ويتفرسون فيه من رأسه الى أخمص قدمه فى ريبة حتى خيل لهؤلاء انهم سيفتشون جيوبهم أو يأخذون بصمات اصابعهم .

فلما اكتمل عدد المدعوين واغلقت ابواب الحديقة والردهة . مضى الجميع الى البهو الاوسط الذى يوصل اليه بابان من الفولاذ بينما كانت نوافذه تعلوها القضبان الحديدية السميكة . ولا عجب فقد كانت المعلقات الاثنتا عشرة محفوظة به .

وكانت هذه السجاجيد من روائع الفن القديم . وهى تمثل قصة الغزو النورماندى .

ولكن أروع هذه المعلقات كانت تلك التى سرقها لوبين وشاء حسن طالع الكولونيل أن تعود اليه سالمة .. فقد كانت تمثل (اديث سوان) فى ساحة معركة هاستنجز وهى تبحث بين الموتى عن جثمان حبيبها هارولد . آخر ملوك الساكسون .

وتملكت الضيوف نشوة جارفة من الحماسة والاعجاب وهم يشاهدون هذه السجادة . فيرون فيها جمال الرسم وسذاجته . وروعة الالوان وانسجامها . والحيوية المتدفقة من مجموعة الاشخاص الذين يمثلهم الرسم . ثم ذلك الحزن والاشفاق الذى يثيره المنظر .. فقد كانت اديث سوان المسكينة تنحنى فى ذلة كزنبقة ذابلة . بينما يشف ثوبها الناصع عن تقاطيع جسمها المتراخية النحيلة .

في حين امتدت يداها الدقيقتان امامها في هلع وابتهال .. على ان اشد ما يبعث الحزن والاسى انما هو مرأى وجهها الذى كانت تلوح عليه ابتسامة شاحبة .. ابتسامة يأس وتخاذل شديد ..

فقال احد النقاد . وكان الحاضرون يصغون اليه في احترام ويجعلون آراءه محل الاعتبار والتقدير :

ـ يا لها من ابتسامة حزينة رائعة ؟ . وهي ابتسامة ساحرة في نفس الوقت ..

وما لبث أن أردف : ثم انها تذكرني . ياسيدى الكولونيل بابتسامة مدام سبارمينتو ؟ ..

فقال الكولونيل : انك تقول حقا يا سيدى حتى انني لاعترف بان هذا التشابه هو الذى حفزنى لشراء المعلقات.. ثم أن هناك سببا اخر : وهو اتفاق عجيب حقا فان اسم زوجتى اديث ايضا .. وقد اطلقت عليها منذ ذلك الحين اسم اديث سوان .

ـ وهل اسمك هارولد ايضا يا سيدى الكولونيل ؟

ـ كلا .. شكرا .. لانه ليس اسمي كما انني لا امت بصلة الى ملوك السكسون ..

وقد اجمع الحضور على تقرير ما حدث في تلك اللحظة .. فما كاد الكولونيل يفرغ من عبارته حتى دوى جرس الانذار المتصل بالنوافذ ـ وهنا اختلفت الآراء فيما اذا كانت النافذة اليمنى أو الوسطى ـ دويا متقطعا ذا رنين منتظم .. وتلته صيحة ذعر ندت عن مدام سبارمينتو التى تعلقت بذراع زوجها بينما كان يصيح :

ـ ما الذى حدث ؟ . وما معنى ذلك ؟

ووقف المدعوون بلا حراك وقد تعلقت أنظارهم بالنوافذ، بينما استتلى الكولونيل هادرا :

ـ انني لا افهم معنى ذلك فان احدا غيرى لا يعرف مكان الاجراس .

وعندئذ أطفئت الانوار جميعا بغتة ـ وعلى هذا اجمع الحضور ايضا ـ وساد المكان ظلام دامس تلاه انطلاق الاجراس والنواقيس في دوى جنونى مروع من اعلى المنزل الى اسفله وفي كل الحجرات وعند كل نافذة ... واعترى الحضور لعدة ثوان فزع هائل واضطراب عنيف، فتعالى صياح النساء يشق عنان الجو ، واندفع الرجال يقرعون الابواب المغلقة بقبضاتهم قرعات شديدة ـ ويندفعون بالمناكب ، ويضرب بعضهم بعضا .

وارتفع صوت الكولونيل فوق اصواتهم وهو يصيح : صه ! .. لا تتحركوا من اماكنكم فكل شيء على مايرام، وها هو مفتاح النور في ذلك الركن فانتظروا قليلا ، ها هو ...

وراح يشق طريقه بين ضيوفه حتى بلغ الركن الذى فيه مفتاح الانارة . وما هي الا لحظة حتى سطعت الانوار ثانية ، وتوقف رنين الاجراس .

وعندئذ طالع الحاضرين منظر عجيب ، فقد اغمى على اثنتين من السيدات ، بينما بدا الرجال بثيابهم المتهدلة كأنهم خارجون من ميدان القتال .

في حين صاح احدهم : يالله ! . ان المعلقات ما زالت هنا ! .

وغشى الحاضرين ذهول بالغ ودهشة عظيمة ، كأنما اختفاء هذه السجاجيد كان ينبغي أن يكون النتيجة الطبيعية والتفسير المعقول لهذا الحادث كله .. ومع ذلك فقد بقي كل شيء مكانه سواء هذه المعلقات الثمينة أو غيرها من الصور الفنية الرائعة المعلقة على الجدران ... ليس

ذلك فقط على الرغم من ضجة الاجراس والنواقيس ، وذلك الظلام الحالك الذى ساد الحجرات ، فان المخبرين المنتشرين فى الحديقة لم يلمحوا أحدا يدخل المنزل او يحاول الدخول .

وضحك الحاضرون لهذا الخوف الصبيانى الذى تملكهم ، ولكن ضحكاتهم كانت متكلفة وكل منهم يشعر بالخجل لمسلكه المعيب .. ولم تعد لديهم سوى فكرة واحدة ، هى أن يسارعوا الى مغادرة هذا المنزل الذى يسود جوه القلق والاضطراب .

ومع ذلك فقد بقى اثنان من الصحفيين انضم اليهما الكولونيل بعد أن عهد بزوجته الى وصيفاتها ومضى ثلاثتهم ومعهم المخبرون الثلاثة ففتشوا المنزل بدقة دون أن يسفر تفتيشهم عن نتيجة ذات بال .. وعندئذ دعاهم الكولونيل الى احتساء الشمبانيا معه . وكانت النتيجة انهم بقوا جميعا الى وقت متأخر . الساعة الثالثة من الصباح ، اذ انصرف الصحفيان ، ومضى الكولونيل الى حجرته وذهب المخبرون الثلاثة الى الحجرة المخصصة لاقامتهم بالطابق الاسفل ، حيث تناوبوا الحراسة كل بدوره . وهى حراسة تقوم على بقائهم متيقظين اولا . ثم تفتيش الحديقة وبهو التحف بين آن وآخر وظلوا يؤدون واجبهم فى دقة ومثابرة الا بين الساعة الخامسة والسابعة . عندما استبد بهم النعاس فكفوا عن جولتهم المقررة اذ كان ضوء النهار يغمر الحديقة .. ثم ألا يكفى أى رنين تبعثه الاجراس لايقاظهم ؟ ..

ومع ذلك فعندما استيقظ احدهم فى الساعة السابعة والثلث وفتح باب البهو . كانت المعلقات الاثنتا عشرة قد اختفت ! .

ولم يعرف الكولونيل بالخبر الا فى منتصف الساعة التاسعة عندما كان على وشك مغادرة المنزل .

ولم يبد أن هذا الخبر قد اثر عليه كثيرا فى بادىء الأمر . أو لعله على الاقل استطاع السيطرة على اعصابه وقتا ما .

ثم جلس الى خوان صغير وراح يكتب فى عجلة . ثم وضع ما كتبه فى غلاف أغلقه جيدا واعطاه الى احد المخبرين قائلا :

– انني في عجلة من امرى . فلدى موعد بالغ الاهمية .. ولكن هاك خطابا لقومسير البوليس .

فلما رأى الرجل يرمقه فى دهشة استطرد :

– انني أطلع القومسير على وجهة نظرى . واخبره ببعض الريب والشكوك التى تساورنى . حتى يستطيع أن يبدأ عمله فى الحال .. اما انا فسأفعل ما يمكننى عمله الآن .

ثم غادر المنزل مسرعا . وهو يأتى بحركات غريبة تنم عن انفعال شديد . لم يلبث المخبرون أن ذكروها فيما بعد . وبعد دقائق وصل القومسير وفض الغلاف فقرأ فيه :

« لقد بلغت نهاية شقائى .. فقد اكملت سرقة المعلقات ذلك الانهيار المالى الذى حاولت جهدى أن اخفيه خلال العام الماضى بأسره .. وقد اشتريتها على امل أن أبيعها بمليون من الفرنكات بفضل الضجة التى قامت حولها .. بل لقد عرض على أحد الامريكيين بستمائة ألف فرنك وهو مبلغ كان يكفى لاقالة عثرتى .. اما الآن فقد تم دمارى ولم أعد أستطيع الاحتمال .

« وكل ما أرجوه هو أن تغفر لى زوجتى المحبوبة ذلك

بالحضور دون أن تضيع دقيقة واحدة .. فذلك يعنى اننى قد اكتشفت السر ..

وبعد ثمان وأربعين ساعة تلقى مسيو ديدوى البرقية الثانية : « سافرت الى مدينة ليل .. جانيمار » .

فغمغم الرجل متعجبا : ليت شعرى ما الذى يدعـــوه للذهاب الى ليل ؟

ومر اليوم بلا نبأ جديد .. وتلاه يوم ثان .. ولكن مسيو ديدوى كان بالغ الثقة بجانيمار فهو يعرف الرجل جيدا ويعرف انه ليس من اولئك الذين تدفعهم الخفة والنزق الى أشياء لا طائل تحتها .. فاذا ما سار جانيمار فى طريق ما فلا ريب ان لديه اسبابا وجيهة لذلك ..

والواقع أنه لم يكد يحل مساء هذا اليوم الثانى حتى دعى المسيو ديدوى الى التليفون .

ـ اهذا انت يا سيدى الرئيس ؟

ـ من ؟ جانيمار ؟ .

وكان الرجلان من الحذر بحيث راح كل منهما يستوثق من شخصية محدثه أولا ، فلما اطمأن جانيمار من هـذه الناحية مضى يقول فى لهفة : عشرة رجال أيها الرئيس ، حالا ، وارجو أن تحضر بنفسك ـ أين أنت ؟ .

ـ فى الطابق الأسفل من المنزل ، ولكنى سانتظرك داخل الحديقة بالقرب من الباب .

ـ سوف أحضر فورا ، فهل الأمر يستلزم حضـــورنا فى سيارة ؟

ـ نعم .. نعم .. ولكنى أرجو توقف السيارة على بعد خمسين مترا من المنزل وسوف افتح لك الباب عندما اسمع صفيرك .

وجرت الأمور فى الطريق التى رسمها جانيمار ...

وبعد أن انتصف الليل بقليل ، واطفئت انوار الطـوابق العليا من المنزل ، تسلل الى الطريق وذهب للقاء مسيو ديدوى فتشاورا فى عجلة ، ووزع الرجل ضباطه كما أشار جانيمار ، ثم سارا وحدهما الى المنزل فى سكون فاجتازا الحديقة محاذرين كل الحذر حتى استقرا فى حجـرة خافتة الضوء .

فهمس مسيو ديدوى : حسنا .. ما معنى ذلك كلـه ؟ لعمرى اننا نبدو كاثنين من المتآمرين ! . هل من جديد ؟

ولكن جانيمار لم يضحك لهذه المزحة .. بل ان رئيسه لا يذكر انه رآه قط فى مثل هذه الحيرة والاضطراب ، أو سمعه يتكلم بمثل هذا الانفعال .

ـ نعم أيها الرئيس .. وفى هـــذه المرة ! . ولكنى لا استطيع تصديق ذلك ، انا نفسى .. ومع هذا فلســت مخطئا وانما أعرف الحقيقة الصادقة .. وهى قد تبدو لك عجيبة بعيدة الاحتمال ولكنى اقرر انها الحقيقة .. الحقيقة كلها .. ولاشىء غيرها ..

ان لوبين اســتطاع أن يتغلب على مرارا ، او يتركنى موضع سخرية العالم جميعه ، ولكنى فى هذا النضــال الدائب الذى كنت فيه اسوا الخصمين مركزا ، اكتسبت على الأقل خبرة واسعة فى معرفة الاعيبه وأساليبه ، ففى هذه القضية ، قضية السجاجيد المعلقة ، خطر لى منـذ البداءة ان أضع نصب عينى سؤالين عويصين واسـعى الى حل طلاسمهما .

فمن الناحية الأولى كنت واثقا ان لوبين لا يخطو خطوة دون أن يعلم ما يتلوها .. وعلى ذلك فلا ريب انه كان يعرف ان الكولونيل سبارمينتو قد استنفد ثروته وان فقده

ايضا انه فى الطابق الثانى ويطل على الشارع الاخــر الذى لم يكن يراقبه احد نظرا لان نوافذ الطابقين الاسفلين المطلة عليه كانت قد سدت . ففكر مسيو ديدوى قليلا ، وما لبث أن هز كتفيه قائلا :

ـ ما زلت أقول أن ذلك محال . ولماذا ؟

ـ لماذا ؟ لأنه اذا كان الكولونيل سبارمينتو شريكا للوبين لما أقدم ، بعد هذا النجاح الباهر على الانتحار .

ـ ومن قال انه انتحر ؟ !

ـ لقد وجد ميتا فى مدخل النفق ..

ـ لقد قلت لك أن الموت شىء لا يمكن ان يجتمع مــع لوبين فى مغامرة واحدة .

ـ ولكن هذا أمر ثابت مقطوع بصحته .. وقد تعرفت مدام سبارمينتو على الجثة ..

ـ لقد فكرت فى أنك سوف تقول هذا ايها الرئيس .. كما أن نفس هذه الظاهرة كانت تضايقنى .. ولكنى وجدت نفسى فجاة امام ثلاثة رجال بدلا من رجل واحد ، فاولهم لوبين الزعيم .. وثانيهم الكولونيل سبارمينتو ، شريكه .. وثالثهم ذلك الرجل القتيل ..

وتناول جانيمار احدى الصحف المتناثرة حوله وقدمها الى مسيو ديدوى قائلا : اتذكر اننى كنت انقب فى هذه الصحف عندما حضرت لرؤيتى فى المرة الاخيرة ؟ اردت ان أعرف اذا لم يكن قد حدث شىء فى ذلك الحين يؤيد نظريتى ! . فارجوك ان تقرأ هذه الفقرة .

فاخذ مسيو ديدوى الصحيفة وقرأ : « ابلغنا مراسلنا فى ليل عن حادث عجيب وقع فى تلك المدينة فقد اختفت احدى الجثث من معرض الموتى ، وهى جثة رجل مجهول القى بنفسه فى اليوم السابق تحت عجلات احدى قاطرات

الترام .. ولم يستطع أحــد ان يفهم السر فى اختفــاء هذه الجثة » .

وراح مسيو ديدوى يفكر فى صمت ثم ســال . اذن فهل تعتقــد ؟ .

ـ لقد جئت للتو من ليل ولم تدع تحرياتى مجالا للشك فى نفسى فقد نقلت الجثة فى نفس الليلة التى اقام فيها الكولونيل سبارمينتو حفلته .. واخذت فى سيارة الى مدينة دافرى حيث ظلت السيارة بالقرب من شريط السكة الحـديد حتى المساء .

ـ بالقرب من النفق اذن ؟ ـ بل بعده ايها الرئيس .

ـ اذن فان الجثة التى وجـدت لم تكن سوى الجثـة المسروقة ، البست ثياب الكولونيل سبارمينتو ؟

ـ تماما ..

ـ كان الكولونيل لم يمت اذن ؟

ـ انه حى يسعى مثلك ومثلى يا سيدى ..

ـ ولكن لماذا كل هذه الامور المعقدة ؟ .. لمـــاذا سرقت سجادة واحدة فى مبدأ الامر ، ثم سرقت المجموعة كلها .. ولماذا اقيمت حفلة الاستقبال .. وهذا الحادث المفتعل وقتئذ .. لماذا كل هذه الاشياء ؟ .. ان قصتك لا تقـــوم على ساقين يا جانيمار .

ـ ذلك لانك ايها الرئيس وقفت مثلى فى منتصــف الطريق ، لانه على الرغم من غرابة هذه القصة فيجب ان نمضى فيها قدما .. يجب أن نمضى فيها الى ما هو اكثر غرابة وادعى للدهشة .. ولم لا ؟ تذكر يا سيدى اننا نواجه لوبين .. ولا يجب أن نتوقع منه الا كل غريب معجب .. بل يجب أن نصل الى حد الفروض الجنونية .. ولكنى

اذا قلت الفروض الجنونية فانما اخطىء الكلمة ، فعلى العكس من ذلك نجد القصة كلها قائمة على دعائم قوية من المنطق والحكمة وهى من البساطة بحيث يفهمها طفل صغير ! فلماذا تستخدم شريكا لك ، بينما قد يخونك هذا الشريك ؟ . اليس الاجدى أن تعمل بنفسك ، ولنفسك ، بيدك انت وبالوسائل التى تستطيع بلوغها ؟

فصاح مسيو ديدوى كالمجنون : ماذا تقول ؟ .. ماذا تقـول ؟

– مهلا ايها الرئيس .. ايذهلك الامر الى هذا الحد ؟.. هذا ماحدث لى فى اليوم الذى حضرت لترانى هنا بينما كانت الفكرة تنمو فى عقلى ..! كنت يومئذ صريع الدهشة والذهول .. وكنت اعرف غريمى جيدا ، واعرف الى اى مدى يسير فى اعماله .. ولكن هذه كانت اشد ما يخطر بالبال حقا .. فراح مسيو ديدوى يغمغم : ولكنه محال !. محال .. – بالعكس أيها الرئيس .. انه شيء فى حيز الامكان ، منطقى ، وطبيعى .. انه التجسد الثلاثى لشخص واحد واحد فقط .. وأى طفل يمكنه ان يحل هذا اللغز فى دقيقة واحدة بطريقة التصفية .. ابعد الرجل القتيل يبقى لديك لوبين وسبارمينتو ابعد سبارمينتو .. – يبقى لوبين ؟ – نعم سيدى الرئيس .. لوبين بكل بساطة ... لوبين فى اربعة حروف ومقطع واحد .. لوبين مجردا من جلده البرازيلى ، لوبين الذى يبعث من الموت ، لوبين الذى يبعث من الموت ، لوبين الذى يتحول خلال ستة شـهور الى الكولونيل سبارمينتو ويجول فى بريطانى بعد أن سمع عن اكتشاف المعلقات الاثنى عشرة فيشتريها ثـم يدبر سرقة اثمانها ، ليلفت الانظار اليـــه بصفته لوبين

ويبعدها عنه بصفته سبارمينتو .. ثم يثير امام الجماهير نضالا علنيا بينه وبين نفسه ، بين لوبين وسبارمينتو .. ويدير هذه الحفلة ويبعث الفزع فى نفوس الضيوف ، حتى اذا ما اعد كل شيء يسرق لوبين معلقات سبارمينتو ... ويختفى سبارمينتو ، ضحية لوبين ، عن الانظار ثم يموت دون ان يشك فيه أحد ..

يموت ماسوفا عليه من اصدقائه . مشفقا عليه من الجماهير ، تارك وراءه ارملته لجنى ثمار هذه الخدعة ...

وتمهل جانيمار دون أتمام عبارته وراح ينظر الى رئيسه فى امعان ثم استطرد وهو يشدد على الالفاظ ليظهر اهميتها: تاركا وراءه أرملة حزينة لا تتعزى عن فقده

– مدام سبارمينتو ، هل تعتقد حقا .. ؟

– لعنة الله عليهم ، ان احدا لا يخترع قصة كاملة كهـذه دون ان ينظر الى الفوائد التى يجتنيها من ورائها ، الفوائد الثابتة التى لا شك فيها .

– ولكن هذه الفائدة موجودة يا جانيمار ، فسوف يبيـع لوبين هذه المعلقات فى امريكا أو غيرها .

– نعم ، وقد كان فى استطاعة الكولونيل سبارمينتو ان يفعل ذلك ايضا ايها الرئيس ، بل ربما أفاد منها أكثر مما تباع خفية .. ولذلك فلا ريب أنه يوجد شيء آخر – شيء آخر

– شيء آخر ؟

– نعم ايها الرئيس ، انسيت ان الكولونيل سبارمينتو كان ضحية سرقة جسيمة وانه اذا كان قد مات فان امراته باقية لتستولى على النقود ؟ . – اية نقود ؟

– النقود التى اصبحت من حقها .. نقود التامين بلا ريب .

اذا قلت الفروض الجنونية فانما اخطىء الكلمة ، فعلى العكس من ذلك نجد القصة كلها قائمة على دعائم قوية من المنطق والحكمة وهى من البساطة بحيث يفهمها طفل صغير ! فلماذا تستخدم شريكا لك ، بينما قد يخونك هذا الشريك ؟ . اليس الاجدى أن تعمل بنفسك ، ولنفسك . بيدك انت وبالوسائل التى تستطيع بلوغها ؟

فصاح مسيو ديدوى كالمجنون : ماذا تقول ؟ .. ماذا تقـول ؟

ـ مهلا ايها الرئيس .. ايذهلك الامر الى هذا الحد ؟.. هذا ماحدث لى فى اليوم الذى حضرت لترانى هنا بينما كانت الفكرة تنمو فى عقلى .. كنت يومئذ صريع الدهشة والذهول .. وكنت اعرف غريمى جيدا ، واعرف الى اى مدى يسير فى اعماله .. ولكن هذه كانت اشد ما يخطر بالبال حقا .. فراح مسيو ديدوى يغمغم : ولكنه محال !. محال .. ـ بالعكس ايها الرئيس .. انه شىء فى حيز الامكان ، منطقى ، وطبيعى .. انه التجسد الثلاثى لشخص واحد واحد فقط .. واى طفل يمكنه ان يحل هذا اللغز فى دقيقة واحدة بطريقة التصفية .. ابعد الرجل القتيل يبقى لديك لوبين وسبارمينتو ابعد سبارمينتو .. ـ يبقى لوبين ؟ ـ نعم سيدى الرئيس .. لوبين بكل بساطة ... لوبين فى اربعة حروف ومقطع واحد .. لوبين مجردا من جلده البرازيلى ، لوبين الذى يبعث من الموت ، لوبين الذى يبعث من الموت ، لوبين الذى يتحول خلال ستة شـهور الى الكولونيل سبارمينتو ويجول فى بريطانى بعد أن سمع عن اكتشاف المعلقات الاثنى عشرة فيشتريها ثـم يدبر سرقة اثمانها ، ليلفت الانظار اليـه بصفته لوبين

ويبعدها عنه بصفته سبارمينتو .. ثم يثير امام الجماهير نضالا علنيا بينه وبين نفسه ، بين لوبين وسبارمينتو .. ويدبر هذه الحفلة ويبعث الفزع فى نفوس الضيوف ، حتى اذا ما اعد كل شىء يسرق لوبين معلقات سبارمينتو ... ويختفى سبارمينتو ، ضحية لوبين ، عن الانظار ثم يموت دون ان يشك فيه احد ..

يموت ماسوفا عليه من اصدقائه . مشفقا عليه من الجماهير ، تاركا وراءه ارملته لجنى ثمار هذه الخدعة ...

وتمهل جانيمار دون أتمام عبارته وراح ينظر الى رئيسه فى امعان ثم استطرد وهو يشدد على الالفاظ ليظهر اهميتها: تاركا وراءه أرملة حزينة لا تتعزى عن فقده

ـ مدام سبارمينتو ، هل تعتقد حقا .. ؟

ـ لعنة الله عليهم ، ان احدا لا يخترع قصة كاملة كهـذه دون أن ينظر الى الفوائد التى يجتنيها من ورائها ، الفوائد الثابتة التى لا شك فيها .

ـ ولكن هذه الفائدة موجودة يا جانيمار ، فسوف يبيع لوبين هذه المعلقات فى امريكا او غيرها .

ـ نعم ، وقد كان فى استطاعة الكولونيل سبارمينتو ان يفعل ذلك ايضا ايها الرئيس ، بل ربما افاد منها أكثر مما تباع خفية .. ولذلك فلا ريب أنه يوجد شىء آخر ـ شىء آخر ـ شىء آخر ؟

ـ نعم ايها الرئيس ، انسيت ان الكولونيل سبارمينتو كان ضحية سرقة جسيمة وانه اذا كان قد مات فان امرأته باقية لتستولى على النقود ؟ . ـ اية نقود ؟

ـ النقود التى اصبحت من حقها .. نقود التامين بلا ريب .

فجمد مسيو ديدوى مكانه وبدت له القصة باكملها شديدة الوضوح بمغزاها ومرماها الحقيقى .

فغمغم : هذا صحيح ، فقد كان الكولونيل مؤمنـــا على معلقاته ..

- نعم ، وبمبلغ جسيم ايضا - ثمانمائة الف فرنك .

- بالله ! ثمانمائة الف ؟ - اجل فى خمس شركات مختلفة .

- وهل استولت مدام سبارمينتو على هذا المبلغ ؟ .

- لقد صرف لها أمس مائة وخمسون الفا .. واليوم اخذت مائتى ألف بينما كنت فى الخارج .. وسوف تدفع المبالغ الباقية خلال هذا الاسبوع .

- ولكن هذا مريع .. وكان ينبغى ان تبادر الى ..

- الى ماذا يا سيدى الرئيس ؟ لقد افادوا من غيـــابى ليصفوا حسابهم مع الشركات ، ولم أسمع بذلك الا عند عودتى فأسرعت الى مدير احدى الشركات ، وهو صديق لى ، وطلبت منه ايقاف الدفع .

فاخلد رئيس البوليس الى الصمت قليلا ثم غمغم : يا له من رجل ! .

- نعم .. انه شيطان بارع .. فقد اعد خطته بحيث لا يستطيع احد ان يرتاب ، لمدة اربعة اسابيع او خمسة ، فى الدور الذى لعبه الكولونيل سبارمينتو .. اذ تركز الابحاث والتحريات فى لوبين وحده . وفى النهاية يجد الناس انفسهم ازاء ارملة حزينة تعسة فقيرة ، ازاء اديث سون المسكينة ، تلك المخلوقة الجميلة الخيالية .. وعندئذ يشعر مديرو شركات التامين بغبطة بالغة اذ يستطيعون أداء خدمة لها ، ووضع شىء بين يديها ينتشلها من الفاقة واليأس .. هذا هو ما قصد اليه لوبين وما حدث فعلا . وظل الرجلان يتبادلان

النظر برهة ، ثم قال مسيو ديدوى : من هذه المرأة ؟ سونيا كريتشنوف .

- سونيا كريتشنوف ؟ !

- نعم ، تلك الفتاة الروسية التى قبضت عليها فى العام الماضى واستطاع لوبين انقاذها من السجن .

- اواثق انت من ذلك ؟ - كل الثقة ، وقد كنت فى مبدأ الامر منصرفا الى تعقب اصبع لوبين فى هذه المغامرة فلم اعرها أى انتباه .. ولكنى عندما استنتجت الدور الذى تقوم به تذكرت أنها هى سونيا بعينها ، ولكنها تقمصت شخصية امـرأة انجليزية ، كما تقمص زعيمها شـخصيته البرازيلية ، أنها هى سونيا ابرع الممثلات طرا .. والتى لا تحجم عن مواجهة الموت فى سبيل لوبين .

- ياله من صيد ثمين يا جانيمار ..

- بل هناك ما هو أفضل من ذلك ايها الرئيس .

- حقا ؟ ترى ما هو ؟ - مرضعة لوبين أيضا ؟

- من ؟ فيكتوار ؟ .

- انها هنا منذ قامت مدام سبارمينتو بتمثيل دور الارملة .. انها الطاهية .

- أوه ، لك تهانئى الخاصة يا جانيمار - بل ان لدى ايضا ما هو اعظم من ذلك كله فانقض مسيو ديدوى ولكن جانيمار امسك بيده وراح يهزها فى انفعال . - ماذا تعنى يا جانيمار ؟

- اكنت تظن يا سيدى الرئيس اننى احضرك الى هنا فى هذه الساعة المتأخرة أن لم يكن لدى ما هو اعظم شأنا من سونيا وفيكتوار ؟

فهمس مسيو ديدوى وهو يفهم ما يقصده جانيمار : اتعنى انه . !

ـ تماما يا سيدى ـ اهو مختف فى احد جوانب المنزل ؟
ـ لا شىء من ذلك ، ولكنه متنكر فقط ، انه الخـادم .

فلم يحر مسيو ديدوى جوابا أو حراكا اذ اذهلته جرا[ءة] لوبين ، بينما كان جانيمار يقول فى جذل : لقد غدا الامر تجسد اربعة اشخاص فى شخص واحد لا ثلاثة فقط ، فما كان ينبغى ان تترك اديث سوان بمفردها والا تعرضت للخطـا ، بل لابد من (المعلم) ايضا ، وقد كان من الصفاقة بحيث عاد الى المنزل ثانية .. وظل بجانبى طيلة هذه الاسابيع الثلاثة وهو يتتبع تقدمى فى هدوء .

ـ وهل عرفته ؟ ـ ان احدا لا يستطيع معرفته اذا تنكر فلديه المقدرة الكافية على ابدال ملامح وجهه وتقاطيـع جسمه بحيث لا يعرفه احد . ثم اننى كنت ابعد ما أكون عن الارتياب فيه . ولكنى ولكنى فى هذه الليلة ، بينما رحت اراقب سونيا من خلف الدرج المظلم سمعت فيكتوار تتحدث الى الخادم فتقول له « يا صغيرى » وعندئذ بدت لى الحقيقة ساطعة الضياء . فقد اعتادت دائما ان تنادى لوبين بهـذه الكلمة .. وعلى ذلك ادركت انه هو .

وبدا مسيو ديدوى قلقا مضطربا بدوره ، لوجود هـذا الخصم الذى لا يقهر .. وقال : لقد نلناه هذه المرة . لقد نلناه ياجانيمار ولن يستطيع الفرار .

ـ كلا ايها الرئيس . لن يستطيع ذلك ، لا هو ولا المراتان
ـ واين هم ؟
ـ سونيا وفيكتوار فى الطابق الثانى ، اما هو ففى الثالث

فهتف مسيو ديدوى فى لهفة : لقد كان من خلال نوافذ احدى هذه الطوابق ان مرت المعلقات عند اختفائها ..

ـ ان الامر كذلك ايها الرئيس .

ـ اذن فسوف يفر لوبين منها ايضا ، فان النوافذ تطل على شارع ديفرنوا .

ـ لقد اتخذت حذرى لذلك ، اذ بعثت باربعة من رجالنا ليرقبوا هذه النوافذ جيداوقد امرتهم باطلاق النـار فورا ما بدا اى شخص فى هذه النافذة أو حاول الهبوط منه ، امرتهم باطلاق النار فى الفضاء أولا ، ثم فى (المليان) بعد ذلك ..

ـ احسنت يا جانيمار ! .. لقد فكرت فى كل شىء وسوف ننتظر هنا الى ان تبزغ الشمس ثم ..

ـ وفيم الانتظار أيها الرئيس ؟ هل تريد أن ترعى هذه التقاليد مع ذلك الوغد ؟ . وهب انه لم يراع مثل هـذه اللياقة معنا وتسرب من بين أصابعنا خلال هذا الوقت ؟ هب انه قام باحدى الاعيبه كلا .. كلا .. لقد نلناه ، فهيا نقبض على عنقه ، دون تأخير أو توان .

وسار جانيمار ، وهو فى غمرة الانفعال ، الى الحديقة وما لبث أن عاد وفى رفقته ستة رجال وهو يقول :

ـ ان كل شىء على ما يرام يا سيدى الرئيس .. وقـد امرت رجالنا فى شارع ديفونوا ان يخرجوا مسـدساتهم ويصوبوها الى النوافذ .. هيا بنا ..

وكانت هذه الحركات قد بعثت شيئا من الضجة ولا ريب أن سكان المنزل احسوا بها ، فوجد مسيو ديدوى انه مضطر الى الاسراع فى عمله وقرر أن يبدأه فى الحال .

ـ هيا بنا يا جانيمار ! .

ولم يستغرق الامر مدة طويلة .. فقد اسـرع الرجال الثمانية يرقون الدرج فى غير ما حيطة أو حذر ، ليفاجئوا لوبين قبل ان يتسع ـ له الوقت لتنظيم دفاعه .
يتسع ـ له الوقت لتنظيم دفاعه .

وانقض جانيمار على باب حجرة مدام سبارمينتو وهو يزأر : حطموا هذا الباب :

وسرعان ما كان احد رجال الشرطة يدفعه بكتفه فيخلعه ولكن الحجرة كانت خالية وكذلك كانت حجرة فيكتوار فصاح جانيمار : لا ريب أنهما فى الطابق الاعلى . لقد ذهبنا الى عرين الاسد ويجب أن ناخذ حذرنا الان .

وهرع الثمانية الصناديد الى الطابق الثالث ، ولدهشة جانيمار العظيمة وجد باب العرين مفتوحا على مصراعيه .. ولكن للاسف خلو من الاسد .. او اى شخص آخر .. وكذلك الحجرات الباقية .. فصاح : لعنة الله عليهم ! .. اين ذهبوا ؟

وسمع المسيو ديدوى يناديه ، فقد عاد رئيس البوليس الى الطابق الثانى ووجد احدى النوافذ غير محكمة الغلق ، فقال : هاك .. لقد ذهبوا من هذا الطريق ، وهو نفس الطريق الذى ذهبت منه المعلقات من قبل ! .. لقد قلت لك أن تحذر شارع ديغرنوا ..

– ولكن الشارع مخفور جيدا ، ولو راى رجالنا احدا لاطلقوا النار عليه .

– لعلهم فروا قبل ان يوضع الطريق تحت الحراسة .

– لقد كانوا ثلاثتهم فى حجراتهم عندما تحدثت اليك تليفونيا .

– لا ريب اذن فى انهم ذهبوا أثناء انتظارك لى فى الحديقة .

– ولكن لماذا ! بحق السماء ! لم يكن ثمة سبب يدعوهم الى الفرار اليوم دون الغد أو أى يوم آخر ، بعد أن يحصلوا على بقية نقود التامين !

بيد ان هناك سببا ، وقد عرفه جانيمار عندما راى على احدى الموائد خطابا معنونا اليه ففضه وقراه وكان الخطاب محررا فى ذلك الاسلوب الذى يستعمله الناس عندما يمنحون احد خدمهم شهادة طبية مرضية .

« انا الموقع على هذا ، أرسين لوبين .. الكولونيل سبارمنتو سابقا .. الرجل الذى يصلح لكل شىء سابقا .. والجثة المقطعة تحت عجلات القطار سابقا ..

اشهد بان الشخص المسمى جانيمار اظهر صفات ممتازة اثناء اقامته فى هذا المنزل ، فقد كان مثلا اعلى فى سلوكه ، متفانيا فى اداء واجبه ، شديد الانتباه الى عمله ... وعلى الرغم من انه لم يكن لديه اى دليل او بارقة ضوء يهتدى بهما ، فقد استطاع ان يفسد جزءا من خططى ، وان يوفر على شركات التامين اربعمائة وخمسين الف فرنك .. وانى لا تقدم اليه بالتهنئة ، واغفر له ذلك الخطا الطفيف الذى وقع فيه بعدم ادراكه ان تليفون الطابق الاسفل يتصل بالتليفون الموضوع فى حجرة سونيا كريتشنوف . وانه اذا تحدث الى رئيس البوليس ليسرع بالحضور ، فقد تحدث الى فى نفس الوقت لابادر الى الفرار باسرع ما استطيع .. وقد كانت هذه زلة يمكن التجاوز عنها فلا ينبغى أن تؤثر على خدماته الباهرة او تقلل من شان التوفيق العظيم الذى بلغه فى هذه القضية ..

وانى اذا قرر ذلك ، ارجو ان تتقبل اعجابى وتقديرى . وصداقتى الخالصة .

« ارسين لوبين »

٣
زوجة ارسين لوبين

" يتشرف أرسين لوبين بدعوتكم لحضور حفلة عقد قرانه على الآنسة انجليك دى فندوم ابنة الدوق دى فندوم بكنيسة (سانت كلوتيلد) " .

" يتشرف الدوق دى فندوم بدعوتكم لحضور حفلة قران كريمته الآنسة انجليك على مسيو ارسين لوبين . ويسره أن.

ولم يستطع الدوق دى فندوم اتمام قراءة رقعة الدعوة التى كانت ترتجف بين اصابعه .

كان جسده يهتز حنقا وغيظا . وقد امتقع لونه .. وظهرت على وجهه دلائل الانفعال الشديد .

صاح :

ـ هذه هى بطاقة الدعوة التى وصلت الى جميع اصدقائنا ... واصبحت حديث الناس فى باريس كلها منذ امس ... ما قولك فى هذه الاهانه الهائلة يا انجليك وماذا كانت تقول والدتك لو انها على قيد الحياة !!!

وكانت انجليك طويلة القامة نحيفة الجسم كوالدها .

كانت تتناهز الخامسة والثلاثين من عمرها .. ولا ترتدى غير الثياب السوداء .. وقد عرفت بشدة خجلها وحيائها وانطوائها على نفسها .

وعلى الرغم من صغر حجم راسها بالنسبة الى طول جسدها .. فانه كان من المستحيل أن يقال أنها دميمة .. لان عينيها الساحرتين الحزينتين .. ونظراتها الرقيقة التى تنم عن الكبرياء . كانت من النوع الذى لا ينسى .

وقد احمر وجهها خجلا حين حدثها ابوها عن هذه الفضيحة .

وكانت تحب اباها رغم استبداده . وخشونته معها . وقسوته عليها .

قالت :

ـ اظن ان الامر لا يعدو ان يكون مجرد دعابة يا ابى ... وقد يكون من الخير ان نقيم لها وزنا .

ـ دعابة ؟؟ كيف تقولين انها دعابة .. بينما لا حديث للناس جميعا سواها ؟؟ لقد نشرت بعض الصحف هذه الدعوة اللعينة .. وعقبت عليها بما شاعت من عبارات التهكم والسخرية .. وتكلم بعضها عن ماضى الاسرة وتاريخها المجيد . وتسلسل اعضائها .. متظاهرة بانها تسوق ذلك كله على اعتبار أن الزواج مسالة جدية .

ولكن لا احد سيصدق ..

ـ طبعا .. طبعا .. ولكن هذا لا يمنع اسم الاسرة من ان يصبح مضغة فى الافواه ..

ـ آمل ان ينسى الناس كل شىء غدا .

ـ بل سيذكر الناس غدا يا بنيتى لعزيزة ان اسم انجليك دى فندوم قد تلوث وتدنس بطريقة غير لائقة . وغير كريمة .

ـ آه ليتنى استطيع ان اضع يدى على ذلك الوغد الذى جرؤ على ...

وفى هذه اللحظة .. دخل خادم الدوق وانباه ان شخصا يريد التحدث اليه تليفونيا ..

فنهض الدوق وهو لا يزال يتميز غيظا . وتناول السماعة وصاح : ـ من المتكلم ؟ أنا الدوق دى فندوم .

فأجاب المتكلم :

ـ أنما اردت أن اعتذر لك والى الآنسة انجليك يا سيدى الدوق ... لقد وقع سكرتيرى فى خطأ جسيم .

ـ سكرتيرك ؟

- نعم .. فبطاقة الدعوة كانت مجرد مسودة وكان في نيتي أن أعرضها عليك قبل طبعها . ولكن سكرتيري ظن أن ...

فقاطعه الدوق صائحا :

- ولكن أخبرني أولا ... من انت ؟

- يا الهي ... الم تتبين صوتي يا سيدي الدوق ؟؟ انا صهرك .

- ماذا ؟

- انا ارسين لوبين .

فسقط الدوق على أحد المقاعد . وقد زاد امتقاع وجهه . وهتف :

- ارسين لوبين ... لوبين ... انه هو ... ارسين لوبين فابتسمت انجليك وقالت :

- أرأيت يا أبي انها مجرد دعابة ..

ولكن الغضب استبد بالدوق .. فاخذ يمشي في الغرفة جيئة وذهابا ويحرك ساعديه في كل اتجاه .

صاح :

- يجب أن اتصل برجال البوليس ... فانه لا ينبغي أن يمضي هذا الوغد في سخريته بي الى ابعد من ذلك . الا توجد في البلاد قوانين ؟؟ يجب وضع حد لكل هذا .

ودخل الخادم حاملا بطاقتين قدمهما الى الدوق فالقى عليهما هذا نظرة سريعة وصاح :

- شوتوا .. لابتي ؟؟ انني لا اعرفها .

- انهما من رجال الصحافة يا سيدي الدوق .

- ماذا يريدان ؟؟

- أنهما يريدان التحدث الى سيدي الدوق بشأن .. بشأن الزواج فصاح الدوق :

- اقذف بهما الى الخارج ... وقل للبواب الا يسمح بدخول هذه الحثالة مرة اخرى .

وارادت الفتاة ان ترفه عن ابيها . فقالت :

- صه .. ولا تتكلمي .. لو انك وافقت على الاقتران باحد ابناء عمومتك حين تقدم للزواج بك لما حدث شيء من هذا .

وفي مساء ذلك اليوم . نشر احد الصحفيين اللذين طردهم الدوق على الصفحة الأولى من جريدته قصة خيالية عن زيارته للدوق في قصره العظيم بشارع (دي فارين) .

وفي صباح اليوم التالي . نشرت جريدة أخرى حديثا لارسين لوبين قال المحرر انه جرى في احد الواج دار الاوبرا .. كما نشرت رسالة بعث بها ارسين لوبين الى الجريدة وقال فيها :

« انني اشاطر صهري العزيز المحترم في ابداء السخط على ما تنشره الصحف فقد كان أرسال بطاقات الدعوة غلطة كبرى لست انا المسئول عنها . ولكنني اود الاعتذار عنها علانية وعلى رؤوس الاشهاد ... ذلك أن الدعوة لم تتضمن موعد الاحتفال الذي يريد صهري العزيز أن يحدده في شهر مايو القادم ... بينما انا وخطيبتي المحترمة نرى أن الانتظار ستة اسابيع امر لا يطاق ... » .

ومما زاد الحادث طرافة . وضاعف من سرور اصدقاء الدوق وشماتهم ماكان معروفا عن حلفه وكبريائه وعناده . واصراره على المبادئ التي رسمها لنفسه ولافراد أسرته .

كان الدوق جان دي فندوم هو آخر سلالة فرع أسرة (بوربون) في مقاطعة (بريتاني) .. كما كان ينحدر رأسا من ناحية والدته من أسرة دوق (فندوم) ورفض أن يضم لقب (فندوم) الى قلب (سارزو) الى أن أمر لويس

الخامس عشر بالقائه فى سجن الباستيل عقابا له على هذا الرفض ٠ فقضى فى السجن عشرة اعوام ٠

ولذلك فان حادث الزواج كان ضربة قاصمة لكبريائه ٠٠ وغذاء لغضبه وحنقه ٠٠ فراح يعلن لوبين ويهدده بمختلف العقوبات ولم تسلم ابنته من غضبه ولعناته ٠

كان يصيح بهـا :

ـ لو انك فقط رضيت بالاقتران باحد ابناء عمومتك !!! انهم جميعا من النبلاء الذين ينتمون الى اعـرق الاسر وجميعهم اغنياء وما زالوا يتوقون الى الزواج منك ٠٠ فلماذا ترفضينهم ؟ لان لك آمالا واحلاما اخرى او لان بعضهم بدين ٠٠ والآخـر نحيل والثالث فظ ٠

والواقع ٠٠ ان انجليك كانت منذ صغرها فتـاة واسعة الخيال وقد قرات كل ما كتب عن الفروسية ٠ واعمـال الابطال فى مختلف عصور فرنسا ٠ فكانت الحياة فى نظرها اشبه بقصة خرافية ٠ يتعين فيها على كل فتاة ان تجـد امير احلامها ٠

ولطالما قالت لنفسها لماذا تقترن باحد ابنـاء عمومتها الذين لا يبغون غير الملايين التى ورثتها عن امها ؟

ولذلك آثرت ان تبقى دون زواج ٠٠ وان تقضى بقية حياتها فى احلامها الذهبية ٠

اجاب والدها :

ـ هذا الغضب سيؤذى صحتك يا ابى ٠٠ فانس الموضوع كلية ٠

ولكن كيف ينساه ٠٠ والصحف تطلع عليه كل صبـاح بما ينكأ الجرح ؟ وظلت الفتاة طيلة ايام تتلقى اكداسا من باقات الزهر ٠٠ كما كانت تصلها فى كل صباح باقة

رائعة من اجمل الزهـور قـد ارفقت بها بطاقة تحمـل اسم ارسين لوبين ٠

وامتنع الدوق بدافع الخجل عن التردد على المنتدى الذى ظل طول حياته يختلف عليه ٠ ويقضى فيه سهراته ٠

وذات يوم قابله احد اصدقائه وقال له :

ـ حقا ان نكتة اليوم على جانب عظيم من الطرافة ٠

فساله الدوق :

ـ اى نكتة !!!

ـ نكتة صهرك ٠٠٠ الم تقرا الصحف هذا الصباح ؟ خذ واقرا بنفسك ٠

فتناول الدوق الجريدة ٠ وقرا فيها النبا التالى :

« تقدم ارسين لوبين امس الى مجلس الدولة مطالبـا بالسماح له بان يحمل اسم زوجته بحيث يصبح اسـمه الجديد ارسين لوبين دى فندوم ٠٠ » ٠

وقرا الدوق فى صحف اليوم التالى هذا النبا :

« لما كانت العروس تنحدر مباشرة من اسرة دى بوربون بمقتضى مرسوم اصدره الملك شارل العاشر فانه من المنتظر ان يحمل اولادها من ارسـين لوبين لقب « البرنس دى بوربون » ٠

وفى اليوم التالى نشرت الصحف هذا الاعلان :

« يتشرف محل ازياء اللوفر بان يعلن ان ثـوب زفاف الآنسة انجليك دى فندوم سـوف يعرض به ابتداء من غـد » ٠

وادهى من كل ذلك ٠٠ ان احدى المجلات المصـورة نشرت فى نهاية الاسبوع صورة فوتوغرافية طريفة تمثـل الدوق وابنته وخطيبها لوبين وهم يلعبون الورق معا ٠

كذلك اعلنت المجلة ان موعد الزفاف المنتظر بفرو...
صبر قد تحدد له يوم ٤ مايو .

ونشرت الصحف تفاصيل عن عقد الزواج . ونظ...
الحفلة .. وقالت احداها أن لوبين لا يقيم وزنا للتفاصيل
وانه على استعداد لتوقيع وثائق الزواج وهو مغمض
العينين .. مهما كانت قيمة (الدوطة) البائنة .

كل ذلك كاد ان يطيح بعقل الدوق وصوابه . وبلـ...
حقده على لوبين حدا يغرى بالقتل .

ولم يجد الدوق بدا من الالتجاء الى مدير البوليس
فقال له هـذا :

ـ كن على حذر يا سيدى الدوق .. اننا نعرف أساليـ...
ارسين لوبين .. وهذه احدى وسائله لاثارة اعصابـ...
لغرض ما زلنا نجهله . فلا تقـع فى الفخ .

فسأل الدوق فى قلق :

ـ اى فخ ؟

ـ انه يريد ان يفقدك توازنك لتقدم فى غضبك وتو...
اعصابك على عمل لا تقره وانت فى حالتك الطبيعية .

ـ هل يأمل هذا الوغد اننى أعرض عليه يـد ابنتى

ـ كلا .. ولكنه يأمل أن تتورط فى غلطة .

ـ اى غلطة ؟

ـ نفس الغلطة التى يريدك أن تقع فيها .

ـ اذن أنت تظن يا سيدى أن ..

ـ اننى أظن أن خير ما تفعله فى الوقت الحاضر هو أ...
تعود الى بيتك وتغمض عينيك . وتصم أذنيك فاذا لـ...
تستطع . وكانت كل هذه المناورات تزعجك وتثير أعصابـ...
فاذهب الى الريف . وعش هناك فى هدوء وسـكينة
وانس كل شىء عن الموضـوع .

غير ان هذا الحديث لم يزد الدوق الا خوفا وجزعا من
العواقب .

كان يخيل اليه ان لوبين رجل مخيف لـه اعوان وشركاء
فى كل بيئة من بيئات المجتمع . ولذلك حـزم امره على أن
ينتظر ويقف موقف الحذر والترقب .

على أن حيـاة النبيل المسكين اصبحت لا تطاق ..
فاشتد ميله الى الوحدة والعـزلة .. وامتنع عن الاختلاط
بالناس . واغلق بابه فى وجوه أصدقائه .. بل وفى وجوه
الشبان الثلاثة أبناء عم انجليك .. الذين كان كل منهم
يطمع فى الزواج منها .. فكانوا بحكم هـذه المنافسة
متخاصمين لا يتحدث احدهم الى الآخـر .

وطرد الدوق خدمه وسـائق سيارته .. دون سبب
ظاهر ، ولم يجرؤ على استخدام غيرهم خوفا من أن يدس
عليه لوبين بعض اعوانه وأنصاره .

واضطر خادم الدوق الخاص الذى قضى فى خدمته
اربعين عاما ان يقوم بكافة أعمال القصر المترامى الاطراف .

وقالت الفتاة لابيها وهى تحاول أن ترده الى صوابه :

ـ ما عليك من كل هذا يا ابى .. اننى لا ارى فيما حدث
ما يدعو الى الخوف ... ولا احد فى الوجود يستطيع
ارغامى على قبول هذا الزواج .

ـ طبعا ... طبعا ... وانا لا اخشى ذلك .

ـ اذن مم تخشى يا ابى ؟

ـ لا اعلم .. اخشى أن يختطفك .. او ان يسطو على
القصر ... أو أن يعتدى علينا ... انه وغد شرير
وليس عندى شـك فى انه يدبر امـرا . كما لا شك
فى أننا محوطون بالرقباء والجواسيس .

وبعد ظهر احـــد الايام . وصلت الى الدوق دى فند
نسخة من احدى الصحف . بها نبأ قـد أشير اليــه بالق
الاحمر ... فقرأ الدوق فى ذلك النبأ ما يلى :

« تحدد مساء اليوم موعـدا لعقــد زواج ارســ
لوبين والآنسة انجليك كريمة الدوق دى فنــدوم وسيحد
بالعقد فى قصر الدوق وبحضـــور عدد قليل جـدا
الاعضـــاء .

وسيكون شاهد العروس البرنس دي لارشفوكو والكون
دى شارتر . وسيتولى ارسين لوبين تقديمهما الى الشاهد
الذين وقع عليهما اختياره . وهما مدير البوليس ، ومد
سجن الصحة » .

وبعد عشرة دقائق .. بعث الدوق خادمه بثلاث رسا
عاجلة لوضعها فى صندوق البريد .

وفى الساعة الرابعة .. حضر ابناء عمومة انجليك و
شاب بدين الجسم يدعى مونش ، وآخر نحيف خجـــ
وسيم يدعى داميواز ، وثالث قصير نحيف سقيم يدع
جورش .

واجتمع الدوق بالشبان الثلاثة فى حضور انجليك
ولم يستغرق الاجتماع الا ريثما أوضح الدوق الخ
التى حزم عليها رأيه . والتى قرر أن يواجه بها مناور
لوبين ..

وذكر الدوق أول مراحل هذه الخطة بقوله :

ــ لقد قررت أن أغادر باريس مع انجليك فى هــ
الليلة .

سنذهب الى أملاكنا فى (برتانى) . وانى اعتمد عل
معونتكم فى تيسير مهمتنا . فعليك يا دمبواز أن تحض
بسيارتك المغلقة لتذهب بنا الى المحطة .

وانت يا موتس ... احضر سيارتك وانتقل بها حقائبنا وامتعتنا بمعونة خادمى .

واما انت يا جورش فمهمتك ان تذهب الآن لتجهز لنا اماكن فى عربة النوم بالقطار الذى يغادر باريس فى الساعة العاشرة والدقيقة الاربعين .

هل فهمتم ؟

وانقضى النهار دون ان يحدث ما يستحق الذكر .

وامعانا فى احاطة خطته بالسرية التامة . كتم الدوق نبأ اعتزامه الرحيل عن خادمه . الى ان تناول الجميع طعام العشاء ... وحينئذ اصدر أمره الى الخادم باعداد الحقائب ، وحزم الامتعة . والاستعداد للسفر مع وصيفة انجليك .

وفى الساعة العاشرة ، بينما كان الدوق يتم عدته للسفر ..سمع فى الخارج صوت نفير سيارة . ففتح البواب باب القصر وسمح للسيارة بالدخول .

واطل الدوق من نافذة غرفته ، وعرف سيارة دامبواز ، فتحـــول الى خادمه وقال له :

ــ قل لدامبواز اننا سنحضر فورا .. وانبىء انجليك بان الوقت قـد ازف .

وانتظر الدوق بضع دقائق ... ولما لم يعد الخـــادم ، خرج هو بنفسه ليرى ما الخبر ..

ولكنه ما كاد يبرح الغرفة حتى انقض عليه رجــــلان مقنعان . فشدا وثاقه ، وكمما فمه قبــل أن يتمكن من الصياح أو الاستغاثة .. وقال له احد الرجلين فى صوت خافت :

ــ ليكن هذا أول انذار لك يا ســيدى الدوق .. فاذا

اصررت على مغادرة باريس وعدم الموافقة على الزو
فسوف يكون لنا معك شأن آخر .

والتفت المتكلم الى زميله وقال له :

- ارقبه جيدا .. حتى انظر فى امر الفتاة ..

وفى هذه الاثناء ، كان رجلان اخران قد توليا أمـ انجليك ووصيفتها .. فلم تمض بضع دقائق حتى كا انجليك نفسها مكممة ، ومممددة على أحد المقاعد وقـ فقدت رشـدها .

وافاقت انجليك من اغمائها بعد قليـل ، وما أن فتحـ عينيها حتى وقع بصرها على شاب وسيم يرتدى ثيـا السهرة وينظر اليها وعلى شفتيه ابتسامة وديعـة حلوة

قال لها فى أدب وبصوت رقيق :

- ارجو المعذرة يا آنسـة . فقـد تطورت الحـواد بسرعة . حتى اخرجتنا من سبيلنا . ان الظروف كثيـ ما ترغمنا على أعمال لا تقرها ضمائرنا ... لذلك ارجو الصفح والمغفرة .

قال ذلك وتنـاول يدها فى رفـق ... ووضع خاتـ من الذهب فى أصبعها .

واستطرد :

- والآن .. قد توثق بيننا ربـاط مقـدس . فلا تنـ الرجل الذى وضع الخاتم فى اصبعك . انـه يضرع اليـ الا تحاولى الفـرار منـه . ويتوسـل اليك الا تبرحـ باريس حتى يقـدم لك الأدلة على اخلاصه ووفائه . فضعى ثقتك فيـه واطمئنى اليـه .

قال كل ذلك بلهجة جـدية .. واسلوب مهذب . وصـ يجمع بين الضراعة والأمر . فلم تقو الفتاة على المقاوم

كان كل ذلك مفاجأة لها .. وكان لنظرته وصوته أثرهما العميق فى نفسـها ..

والتقت عيونهما .

همس :

- ما أجمل عينيك .. وما أرق نظراتك ؟؟ سـيكون من دواعى سعادتى أن أهنأ دائما بالنظر فى عينيك .. والآن ... اغمضى عينيك الساحرتين واستريحى .

قال ذلك . وانصرف ... يتبعه أعوانه . وما هى الا لحظة حتى انطلقت بهما السيارة .

وسـاد القصر سكون شامل .. الى ان جمعت انجليك حواسها واستردت انفاسها .. وصرخت تستنجد بالخدم .. ولكن احدا لم يخف لنجدتها .. فانطلقت من غرفتهـا مسرعة .. ووجدت وصيفتها والدوق وخادمه . والبواب وزوجته . وقد شد وثاقهم وكممت افواههم جميعا ..

واكتشف القوم بعد ذلك ضياع بعض التحف الثمينة . كما اختفت حافظة الدوق .. وساعته . وخاتمه . وجميع مجوهراته .

واخطر رجال البوليس . فحضروا على الفور ...

واثبت التحقيق أن دامبواز لم يكد يغـادر قصر الدوق فى سيارته . حتى انقض عليه سـائقه فى أحـد الشوارع المقفرة . واهوى على راسه بضربة تركتـه بين المـوت والحياة . وأن السائق قذف به الى عرض الطريق وفـر بالسيارة ..

كما ثبت أن موتس وجورش تلقيا رسالتين تلفونيتين ملفقتين .. زعم فيهما المتكلم أنه الدوق فنـدوم .. وانه عدل عن خطته .. ولن يغادر باريس .

وانقضى اسبوع ..

بيومين .. بل ولم يقع شيء قبل الموعد المحدد بيوم واحـ
بل ولا فى صبيحة يوم الزواج نفسه .

وابرم عقد الزواج بمكتب العمدة واقيمت المراسـ
الدينية فى الكنيسة وانتهى الامر ...

وحينئذ ... وحينئذ فقط تنفس الدوق الصعداء .

وعلى الرغم من حزن انجليك ... واضطراب خطيـ
الذى حطم القلق اعصابه فقد فرك الدوق كفيه بارتيـ
شديد . وقال وعلى شـفتيه ابتسـامة الرضي والاغتـ
كما لو كان احـرز نصراحا اسـما فى معركة رهيـ
بالقصر .

ـ الآن .. يجب ان تامر الخدم بانزال الجسـر عـ
الخندق المحيط بالقصر الملكى يدخل القصر كل من يريد .
اذ لم يبق لنا ما نخشاه من ذلك الوغد .

واقيمت فى القصر وليمة فاخرة .. وامر الدوق بتوز
النبيذ على الفلاحين .. فشرب الفلاحـون وطربوا ورقصـ

وحول الساعة الثالثة .. قصد الدوق الى غرفتـه بالطا
الارضى لينعم ببعض الراحـة والنوم كما اعتـاد ان يفـ
بعد ظهر كل يوم .

بيد انه ما كاد يفتح الباب ويهم بالدخول حتى جـ
فى مكانه فجاة وهتف :

ـ ماذا تفعل هنا يا دمبواز ؟؟ وما معنى هذه الدعابـ

ذلك انه رأى دمبواز واقفا امامه .. مرتديا ثياب صياد
السـمك .. وقميصه ممزق .. وسرواله اكبر من جسـ
النحيف ..

ونظر الدوق الى الشاب فى دهشة وحيرة ..
نظر الى ذلك الوجه الذى يعرفه حق المعرفة .. والـ

اثار فى مخيلته رغم ذلك ذكريات قديمة عفا عليها الزمن
وكادت تمحى .

ـ انجليك !!

ـ واقتربت الفتاة من النافذة فسألها ابوها :

ـ اين زوجك ؟

ـ انه هناك يا أبى ! ..

واومات نحو دمبواز الذى كان جالسـا على مقعد تحت
احدى الاشجار . وفى يده كتاب .. وسحب الدخان تعقد
فوق راسه .

قال الدوق بصوت لا يكاد يسمع :

حسنا ..

وتهالك على احد المقاعد . ومرت بجسده رعدة قوية .
هتف فيما يشبه الذعر والهلع :

ـ يا الهى .. اننى اكاد ان أجن .

ولكن الشاب الذى يرتدى ثوب صياد السمك ركع بجواره
وقال :

ـ انظر يا عماة ... انك تعـرفنى ... كذلك ؟ انا
ابن اختك وقد تعودت ان العب والهو فى القصر وانا صغير
.. لقد كنت فى تلك الايام تدعونى جاك الصغير .. فكر
جيدا يا عماه .. ثم انظر الى هذه الندبة .. الا تذكرها ؟

واشار الى اثر جرح قديم فى جبينه . فقـال الدوق
بصوت مرتجف :

نعم .. نعم .. اننى اذكرك .. فاجاب جـاك .. ولكن
من يكون الاخر ؟؟ من يكون ..

وامسك راسه بيديه وصاح :

ـ ومع ذلك .. فهذا مستحيل .. اننى لا افهم شيئا ..
اننى لا أريد آن افهم .. تكلم .. واوضح .

وساد صمت عميق استمر لحظة قصيرة ... ثم نهض
الشاب . فاغلق النافذة .. واوصد الباب الموصل ال
الغرفة المجاورة . وعاد الى مكانه من الدوق فامسك بي
كأنما ليوقظه من سباته . وبدأ يسرد قصته باختصار
وبغير مقدمات .

قال :

ـ حدث منذ اربعة اعوام ... اى فى العام الحادى ع
بعد رحيلى الى اقصى جنوب مراكش ـ ان تعرفت وانا
رحلة صيد دعانى اليها احد زعماء العرب ـ على شـ
ذكى موهوب .. سحرنى بعبقريته ولباقته .. وادبه .
وسرعة خاطره .. وطلاوة اسلوبه ..

هذا الشاب هو الكونت داندريسى ..

وقد احببته ودعوته الى خيمتى . حيث قضى فى ضياف
ستة اسابيع رحل بعدها .. ولكننا ظللنا نتبادل المراسلا
ردحا من الزمن . وكثيرا ما قرأت اسمه فى الصحف ب
ذلك .. فعلمت انه شخص بارز فى المجتمع البارين
الراقى .. وان له نشاطه الواضح فى الاندية الرياضـ
والمؤسسات الخيرية .

ومنذ ثلاثة شهور ... كتب الى وانبأنى بعزمه ع
زيارتى . فتاهبت لاستقباله .. وأعددت العدة للترحيب

ولكن حدث ذات ليلة . بينما كنت اجتاز احد مس
الصحراء . ان انقض على خادماى . فشدا وثاقى
وكمما فمى ولازمانى اسبوعا كاملا فى رحلة مستمرة لي
ونهارا . فى مسالك مهجورة .. الى ان اشرفا بى ع
شاطىء البحر وهناك اسلمانى الى خمسة رجال كانوا
انتظارهما .

ونقلنى الرجال الخمسة الى يخت بخارى صغير كان راسيا فى الخليج . واقلع بنا اليخت على الفور ..

ولم اعرف من هم اولئك الرجال . أو ماذا يريدون منى والى أين يقصدون بى .

ووضعونى فى غرفة صغيرة باليخت ... لها باب صغير يتصل بغرفة مجاورة . ونافذة مشبكة بقضبان من حديد .

وفى كل صباح .. كان الباب يفتح .. وتمتد منه يد تحمل صحفة عليها قدر كاف من الطعام والشراب .

كان صاحب اليد يضع لى الطعام الجديد .. ويحمل بقايا طعام اليوم السابق . وكان اليخت يتوقف ليلا فى بعض الاحيان . ثم اسمع حركة انزال القارب فى الماء . ثم حركة المجاديف .. ويغيب القارب بعض الوقت .. ثم يعود الى اليخت فادركت أن القائمين بامر اليخت يذهبون بالقارب الى الشاطىء لاحضار الطعام والمؤن .

ولم يكن اليخت يتوقف عن السير الا ريثما يعود اليه القارب فيستانف رحلته على الفور .

وكان اليخت يسير ببطء . وفى غير عجلة أو لهفة .. كما لو كان اصحابه من طبقتنا ... وكانوا يقومون برحلتهم البحرية لمجرد التسلية والمتعة .. وليس ثمة مايدعوهم للاسراع .

وكثيرا ما كنت اصعد على احد المقاعد . واطل من نافذة غرفتى واحاول أن أتبين اقرب الشواطىء الينا .

واستمرت الرحلة اسابيع كثيرة

وفى أحد ايام الاسبوع التاسع ... لاحظت أن الباب الذى تمتد منه اليد بالطعام قد ترك مفتوحا ولم يغلق

بالمزلاج ... فنفذت منه الى الغرفة المجاورة وبحثت في
محتوياتها حتى عثرت على منشار صغير وكان سروري
بالمنشار اعظم مما لو كنت قد عثرت بكنز ...

وقضيت الليالى الطويلة فى محاولة نشر القضبان
الحديدية وكان فى استطاعتى أن افر بهذه الطريقة لأني
اجيد السباحة .. ولكن اليخت لم يقترب قط من الشاطىء
الى مسافة معقولة .. فقررت ان أتحين أول فرصة للفرار

ولم تحن هذه الفرصة الا ليلة امس . حين اطللت من
نافذة الغرفة ورايت الشاطىء ... ولشد ما كانت دهشتي
حين تبينت ابراج هذا القصر وعرفتها ولم أكف طول الوقت
عن التفكير فى الغرض من هذه الرحلة الغامضة الطويلة

وواصل اليخت اقترابه من الشاطىء . واصبح منه على
مسافة يسهل على اجتيازها سباحة .. فقررت الهرب .
سيما وان الشاطىء حافل بالاعشاب المائية التى يمكن
السباحة والاختفاء فى وسطها ..

وعندما هممت بتسلق النافذة منها الى الماء .. لاحظت
ان باب الغرفة مفتوح .. على نحو ما حدث فى المرة
السابقة .. فنفذت الى الغرفة المجاورة واخذت ابحث
وانقب عسى أن اقع على ما يدلنى اصحاب اليخت وغرضهم
من اختطافى : ولم البث أن عثرت بحزمة من الرسائل
وقصاصات الصحف فعكفت على قراءتها بدافع الفضول .

كانت الرسائل تتضمن طائفة من الاوامر والتعليمات
صادرة الى القراصنة الذين اختطفونى ..

وما هى الا ساعة او بعض ساعة حتى تكشفت الى الحقيقة
وعرفت سر اختطافى ... وسر المؤامره الخطيـرة التي
تحاك منذ ثلاثة شهور ضد الدوق دى فندوم وضد ابنته
ومن سوء الحظ اننى عرفت هذا السر بعد فوات الوقت

ولم اتمكن من مغادرة اليخت قبل الظهر . فقطعت المسافة
الى الشاطىء سباحة فى ظروف مزعجة وواصلت السير على
قدمى .. حتى انتهيت الى كوخ احد صيادى السمك فى
نحو الساعة الثالثة .. وهناك استبدلت ثيابى المبللة بهذه
الثياب التى تفضل الصياد باعارتها لى .

ولم اكد اصل الى القصر حتى علمت ان زواج انجليك قد
احتفل به صباح اليوم .

واصغى الدوق دى فندوم الى هذا الحديث دون ان ينطق
بكلمة .

كان ينظر الى محدثه بامعان ولا يكاد يصـــدق عينيه
واذنيه وسائر حواسه .

وتذكر حديث مدير البوليس حين قال له :

ـ كن على حذر يا سيدى الدوق .. انه يعمل على تخدير
اعصابك .

قال بصوت اجوف :

ـ امض فى حديثك ... اتمم قصتك ... كلا هما مخيف
ومزعج اننى لم افهم بعد .

فاستطرد الشاب :

ـ يؤسفنى يا عماه ان اقول لك ان القصة واضحـة غاية
الوضوح . ولا تحتاج الى مزيد من التفصيل ..

انها تتلخص فيما يلى . لقد ذكرت الكونت داندريسى
بعض الحقائق التى ذكرتها امامه فى بلاهة عندما نزل فى
ضيافتى .. تذكر قبل كل شىء اننى ابن اختــك واننا لم
نتقابل منذ زمن بعيد .. وان آخر لقاء بيننا كان منذ خمسة
عشر عاما حين طلبت يد الآنسة انجليك . فرفض طلبى ..
فغادرت فرنسا وانا محطم القلب . وقد قررت ان اقطع كل
صلة لى بالماضى .. فلم نتبادل حتى الرسائل .

وكان ثمة من التشـــابه بينى وبين داندريسى ما يز
زيادته .

وعلى هذه الاسس الثلاثة .. وضع داندريسي خطت
الجهنمية فاشترى ضمائر خدمى فى مراكش اذا أنا اعتز
العودة الى باريس ..

ثم جاء اليك منتحـلا اسمى وشخصيتى . ومظهـ
.. وتردد على قصرك حيث دعوته أنت مرارا لتناول الط
على مائدتك ..

وهكذا اصبح اسمى واحدا من الاسماء العديدة المستع
التى اطلقها على نفسه ..

ومنذ ثلاثة شهـــور -عندما نضجت الثمرة - كما ق
فى رسائله الى اعوانه - بدا حملته العجيبة فى الصحف
وخشى طبيعة الحال ان تصل الصحف الفرنســـية ال
مراكش . فاقراها .. واعرف الدور الذى يلعبه فى باري
باسمى ، فاوعز الى اعوانه باختطافى والطـواف بى ف
البحار حتى يتم له انجاز مهمته .. والوصول الى اهداف

فالقصة فيما يتصل بك يا عماه واضحة كل الوضوح ك
ترى .

وارتجف الدوق من قمة راسه الى اخمص قدميـــه .
ووضحت له الحقيقة بكل ملابساته الكريهة المخيفة . فام
بساعد الشاب بقوة وقال فى مزيج من الغضب والياس :

- انه لوبين .. اليس كذلك !

- نعم يا عماه ..

- وقد زوجته ابنتى به ؟ ..

- نعم يا عماه .. انك زوجتها للرجل الذى سرق اسم
زوجتها ارسين لوبين . وفعلت ذلك باختيارك ورضاك

لقد قرات له رسالة بخط يده فيها انه زلزل حيـــاتك ..
وحاصرك ليلا ونهارا . وادخل الذعر والهلع على نفسك حتى
ارغمك على الفرار الى هذا القصر . حيث ظننت انت انك
ستكون بمامن من تدابيره الجهنمية وحتى حملك على قهـر
ابنتك على الزواج من احد ابناء عمومتها ..

فهتف الدوق :

- ولكن لماذا اختارت انجليك هذا الوغد دون الاخرين ؟

- لا تنس انك الذى اخترته لها يا عماه .

- لقد وقع عليه اختيارى مصادفة واتفاقا .. او اعتقادا
منى بانه اوسع الثلاثة ثروة .

- كلا .... ان المصادفة لم تلعب دورا فى اختياره ...
انك اخترته عملا بمشورة خادمك المخلص الامين . وتحت
الحاحه المستمر ..

فدهش الدوق وصاح : .

- ماذا تقول ؟؟ هل خادمى احد اتباعه ؟

- كلا .. انه ليس من اتباع ارسين لوبين .. ولكنه من
اتباع الرجل الذى ظنه دمبواز . والذى وعد بان يعطيه مائة
الف فرنك بعد اسبوع من الزواج .

- ويل للوغد .. لقد دبر خطته باحكام شديد . وحسب
حسابا لكل شىء .

- نعم .. انه دبر خطته تدبيرا محكما .... بل ودبر
حادث الاعتداء عليه . ليبعد عن نفسه الشبهة وليبرهن لك
على انه لقى ما لقى فى سبيلك .

- ولكن ما هى اهدافه ؟؟ وما غرضه من هذه الخـــدع
الدنيئة الحقيرة ؟

فاجاب الشاب .

- لقد ورثت انجليك عن والدتها احد عشر مليون فرنك
وبعد اسبوع واحد . سيقدم كاتب العقود هذه الثرو
الطائلة التى هى عبارة عن مجموعة قيمة من الاسه
والسندات . سيقدمها الى جاك دمبواز الزائف باعتبار
زوجها . وعلى اعتبار انها تجاوزت سن الرشد منذ زمن
بعيـــد .

ولاشك ان لوبين قد وضع خطته بحيث يستولى على هذ
الثروة ويلوذ بالفرار فورا ..

هل نسيت انك اعطيته بنفسك اليوم سندات مالية قيمتها
خمسمائة الف فرنك بصفة هدية بمناسبة الزواج ؟؟

انه دبر الامر مع احد اعوانه لكى يقابله فى السا
التاسعة من مساء اليوم تحت شجرة (السرو) الكبير خار
القصر ليعطيه هذه السندات كى يبيعها غدا فى بروكسل .

ونهض الدوق من مقعده ، واخذ يمشى فى الغرفة جيئة
وذهابا وعلى وجهه دلائل الغضب الشديد .

قال :

- سيقابله فى الساعة التاسعة مساءا ؟ حسنا .. سوف
نرى ... سادعوا رجال البوليس فورا .

- ان لوبين يسخر من رجال البوليس .

- ساتصل بمدير البوليس فى باريس .

- حسنا .. ولكن الخمسمائة الف فرنك ؟؟ والفضيحة
فكر فيما سيقوله الناس فى فرنسا كلها .. آنجليك دى فندو
ابنة الدوق دى فندولم .. زوجة لذلك اللص المحتال !! كلا
.. كلا .. يجب البحث عن حل آخـــر ..

- ما العمل اذن ؟

- ما العمل ؟ .

ونهض الشاب واقفا .. وسار الى احـــد الاركان حيث
تناول بندقية من بين بنادق الصيد الكثيرة التى يحتفظ بها
الدوق فوضعها على المائدة وقال .

- لقد تعودنا فى مراكش حين نجد انفسنا وجها لوجه
امام وحش نخشى خطره على حياتنا .. تعودنا الا ندعو
رجال البوليس .. وانما نتناول بنادقنا ونقتل الوحش . قبل
ان يقتلنا .

- ماذا تعنى ؟؟

- اعنى اننى تعودت فى مراكش الا الجا لرجال البوليس
وهذا نوع من العدالة السريعة التى قد لا تقرها المبادىء
الانسانية . ولكنه فيما اعتقد خير انواع العدالة فى حالة
كالتى نحن بصددها .

ومتى قتلنا الوحش فليس ايسر من اخفـــاء جثته فى
مكان لا يعرفه سوانا .

- وانجليك ؟

- سوف نخبرها فيما بعد .

- وماذا يكون مصيرها ؟

- انها تصبح زوجتى .. زوجة دامبـــواز الحقيقى .
وساهجرها غدا الى مراكش فيكون هذا الهجران سببا قويا
لطلب الطلاق .. وبعد شهرين أو ثلاثة شهور تحصل على
الطلاق وتصبح حرة طليقة .

وأصغى الدوق وهو شاحب اللون . زائغ البصر ولكن
عضلات وجهه كانت تنم عن التصميم وصدق العزيمة .

همس :

- هل انت واثق من ان اعوانه وشركاءه فى اليخت لم
يخطروه عن فرارك ؟

– انهم لن يخطروه قبل غـد .

اذن ...

– اذن لا بد ان يذهب لوبين فى الساعة التاسعة لمقا
شريكه الذى سياخذ السندات غدا الى بروكسل : ولا بد
لكى يصل الى (شجرة السرو) أن يسلك الطريق الض
الذى يمر بالكنيسة المهجورة .. ولذلك يجب ان اكمن
تلك الكنيسة .

فقال الدوق فى هدوء . وهو يتناول بندقية اخـرى .

– ساكمن له معك .

وكانت الساعة وقتئذ الخامسة . فقضى الدوق مـع ا
اخته بعض الوقت ففحصا البندقيتين . واتما حشوهما

وعند ما اقبل الليل . رافق الدوق الشاب خلال اح
الدهاليز المظلمة . الى كوخ فى احد اركان الحديقة وتر
هنـاك .

ولم يحدث شىء يستحق الذكر حتى موعد تناول طع
العشاء . وقد حرص الدوق اثناء الطعام على كتمـ
شعوره . والتظاهر بالهدوء والسكينة .

وكان بين الفينة والفينة يختلس النظرات الى لوبين
وادهشه الشبه العجيب بينه وبين دمبواز الحقيقى .

كانا يتشابهان فى قسمات الوجه . ولون الشعر .. ب
وفى لون البشرة .

ولكن نظراتهما كانت تختلف اختلافا بينا .. فنظرا
لوبين ثاقبة واشد بريقا .

وبالتدريج لاحظ الدوق كثيرا من وجوه الخلاف ال
غابت عن ملاحظته من قبل

ونهض القوم عن مائدة العشاء فى نحو الساعة الثامنة

فقصد الدوق الى غرفته .. ومكث بها . ثم تسـلل الى الحديقة ورافق ابن اخته الى الكنيسة المخربة .. وكنـا هناك فى انتظار لوبين والبندقيتان فى ايديهمـا على استعداد .

وفى هذه الاثناء .. رافقت انجليك زوجها الى الجناح الخاص بهما فى الطابق الاول من البرج الايسر بالقصر .

ولكن زوجها وقف بالباب لحظة ثم قال :

– ساقوم بنزهة قصيرة يا انجليك .. فهل اجدك هنـا متى عدت ؟

– نعم

وتركها . وصعد الى الطابق الاول حيث توجد الغرفة التى خصصت له .

ولم يكد يخلو الى نفسه فى الغرفة حتى او صد بابها . وسار الى النافذة التى تطل على الحقول ففتحها فى هدوء واطل منها .

ورأى شبحا يتسلل عند قاعدة البرج فصفر بفمه بطريقة خاصة وسمع الجواب على صورة صفير مماثل .

حينئذ فتح دولابا تناول منه حقيبة صغيرة من الجلد محشوة بالاوراق فحزمها بعناية . ثم جلس امام المائدة وكتب الرسالة التالية :

« يسرنى انك تلقيت رسالتى . فقد ادركت ان من الخطر ان اغادر القصر تحت جنح الظلام وبيدى هذه السندات الكثيرة الثمينة ساقذف بها اليك فارحل الى باريس على الفور لتصل اليها فى الوقت المناسب قبل سفر القطار الى بروكسل .

« ومتى وصلت الى بروكسل فعليك ان تذهب بالحقيبة الى (ز) ليتصرف بمحتوياتها » .

ملحوظة : عندما تمر بشجرة السرو .. قل لزملائى
هناك أننى سأذهب اليهم فان لدى من التعليمات ما يجب
اصداره لهم . كل شىء على ما يرام ولا احد يرتاب فى
شىء » .

وارفق لوبين الرسالة بالحقيبة ، وادلى بالحقيبة من
النافذة بواسطة حبل طويل .

وأطل من النافذة ، حتى رأى الشبح يقترب من الجدار
ويتناول الحقيبة .

ومن ثم تنفس الصعداء وغمغم :

ـ هذا حسن .. قد ازيح الان عن كاهلى عبء ثقيل .

وقضى فى الغرفة بضع دقائق اخرى .. فاخذ يسير
جيئة وذهابا وتوقف مرتين امام صور لبعض اسلاف
أسرة فندوم .. وقرا تحت اسم احداها :

ـ هو راس دى فندوم .. مارشال فرنسا .

وقرا تحت أخــرى :

ـ الدوق دى كونديه ..

وابتسم وغمغم وهو ينظر الى مجموعة صور أولئك
النبلاء العظام :

ـ اننى أحييكم يا اصهارى الاعزاء .. ســوف يثبت
ارسين لوبين دى فندوم أنه جدير بالانتماء اليكم .

ولما رأى الوقت قد حان . تناول قبعته وهبط السلم .
ولكنه لم يكد يبلغ الطابق الارضى .. حتى اندفعت انجليك
من غرفتها مسرعة وهى تهتف فى جزع :

ـ اهذا انت ؟؟ اعتقد أنه يحسن بك .

ولم تتم عبارتها ... وعادت الى غرفتها ... تاركة
زوجها نهبة الحيرة والقلق والجزع .

قال لنفســه :

ـ ترى ماذا دهاها ؟؟ يخيل الى ان الزواج لا يلائمها .
واشعل لفافة تبغ .. ولم يشغل ذهنه طويلا بهذا الحادث
الذى كان ينبغى ان يثير فضوله واهتمامه .
غمغم قائلا :

ـ مسكينة انجليك ... اعتقد ان هذا كله ســوف ينتهى
بالطلاق .

وكان الظلام دامسا فى الخارج ... وقد اغلق الخــدم
نوافذ القصر فامتنع تسرب الضوء الى الخارج .

ومر لوبين من باب القصر . وقال لحارسه :

ـ اترك الباب مفتوحا ... سأتنسم الهواء . واعود بعد
قليل .

واجتاز الجسر القائم فوق الخندق الذى يحيط بالقصر ...
ثم دلف الى اليسار . ووجد نفسه فى الطريق الضيق المؤدى
الى الكنيسة المخربة .. وحينئذ اسرع الخطى ..
قال وهو ينظر الى الادغال التى تحيط بالطريق :

ـ ما اصلح هذا المكان لكمين .

وتوقف فجاة ... فقد خيل اليه انه سمع صوتا .

ولاحت له خرائب الكنيسة وسط الظلام ...

وسقطت على وجهه بعض قطرات المطر .. وسمع ساعة
تدق التاسعة . فاسرع الخطى ... وهبط فى منحدر ثم عاد
الى الصعود .

وفجاة .. توقف مرة اخرى . واحس بيد تمسك بيـده .
فتراجع خطوة الى الوراء . وحاول ان يتملص .

ولكنه رأى شبحا يخرج من وراء الاشجار .. وســمع
صوتا يهمس : ـ صه .. لا تنطقى بكلمة ..

وعرف صوت زوجته انجليك .. فهتف :
ـ ماذا حدث ؟
فقالت بصوت خافت . لا يكاد يسمع :
انهما ينتظرانك ... هناك فى الخرائب . والبنادق ف
ايديهما ..
ـ من هما ؟ ـ صه .. لا تتكلم .. واصغ جيدا ..
ووقفا لحظة ينصتان .. ولا ياتيان بحركة
ـ حمدا لله ... انهما لا يتحركان .. وهذا يدل عل
انهما لم يفطنا الى .. هلم بنا نعود .
ـ لكن ...   ـ تعال معى .
وكانت تتكلم بلهجة الأمر . فلم يسعه الا ان يطيع دو
معارضة .
ولكن الخوف استولى عليها فجاة فصاحت :
اسرع .. هلم بنا ـ نجرى .. انهما مقبلان .. انا وا
من ذلك .
والواقع .. انهما سمعا فى تلك اللحظة صوت وقـ
اقدام تدنو نحوهما .. فاطلقت انجليك ساقيها للريح
دون ان تفلت يد لوبين من يدها ..
كانت تجذبه معها فى قوة وعزم .. وانحدرت بـه ف
طريق جانبى محفوف باشجار العوسج ..
وما هى الا لحظة حتى كانا يعبران الجسر .
وحينئذ تابطت ساعده . وسارت بجواره فى هدو
وابصر بهما الحارس فرفع قبعته محييا .
واجتاز الحديقة . ودخلا القصر . واقتادته انجليك ال
الجناح الخاص بهما فى الطابق الأول من البرج .
قالت وهى تدخل :   ـ تعال ..
وما كادت انجليك تغلق الباب عقب انصرافهما . حت

سمعت طرقا على الباب وصوتا يهتف : انجليك ؟ فاجابت
وهى تغالب اضطرابها .
ـ اهذا انت يا ابى ؟ ـ نعم . اين زوجك ؟
ـ انه هنا ... لقد خرجنا للنزهة وعدنا فى التو واللحظة
ـ حسنا قولى له اننى اريد التحدث اليه فى امر هام فى
غرفتى .
ـ حسنا يا ابى .. سابعث به اليك .
وظلت واقفة بالباب لحظة اخرى . وهى تصغى باهتمام
.. ثم عادت الى مخدعها . وقالت لزوجها بصوت خافت :
ـ اننى واثقة ان ابى لا يزال بالباب .
فاتى لوبين بحركة كمن يهم بالانصراف وهو يقول :
ما دام يريد التحدث الى فلا مانع من ان اذهب اليه .
فوقفت فى طريقه وهى تقول : ـ كلا ان ابى .. ليس
وحـده ..
ـ ومن معـه ؟
ـ جاك دامبواز .. ابن اخته .
وساد صمت قصير .. ونظر اليها لوبين فى دهشة ...
وبدا عليه كانه لا يفهم معنى سلوكها .
ولكنه استطرد على الاثر :
ـ اذن فقد عاد دمبواز ... ذلك الصديق القديم العزيز؟
ثم ابتسم واردف : ـ لقد بلغ الموقف الذرة ويجب ان ..
فقاطعته : ـ ان ابى يعلم كل شىء ... وقد سمعت حديثا
دار بينهما .. وفهمت ان ابن اخته قرا بعض رسائل معينة
... وقد ترددت اول الأمر فى ان انبئك ... ثم رأيت ان
واجبى يحتم على ...
فنظر اليها بامعان .. ولم يلبث ان وضح له الموقف بكل
غرابته . فانفجر ضاحكا . وقال : ـ ماذا حدث ؟ كيف لم

يحرق زملائى فى اليخت جميع رسائلى ؟ وكيف سمحو
للسجين بالفرار ؟ وبل للاغبياء !! هل يجب أن يشرف
الانسان على جميع شؤونه بنفسه ؟؟ ولكن لا باس ان الموقف
يدعو للضحك حقا .. دامبواز .. ضد دامبواز .. ولكن
هبى أن لأمر اختلط على ابيك .. هى اننى دمبواز الحقيقى
وانه دامبواز الزائف ؟؟

قال ذلك وتحول الى اناء به ماء . فغسل يديه جيدا ..
ثم غمس يديه فى الماء مرة اخرى .. وما هى الا لحظة حتى
ازال عن وجهه كل وسائل التنكر .. واعاد تصفيف شعره
بصورة أخرى .. وبدأ أمام انجليك كما رأته ليلة أن وضع
الخاتم فى أصبعها .

قال : هاأنذا .. اننى اشعر بمزيد من الارتياح حين أكون
على حقيقتى ... ومن الخير أن أقابل اباك فى صورتى
الطبيعية ..

فصاحت به .. وهى تلقى بنفسها على الباب وتحجبه
بجسدها :

ـ الى أين تريد أن تذهب ؟؟ ـ يجب أن أقابل السيدين
المحترمين .

لن أدعك تمر .   ـ لماذا ؟

ـ هب أنهما قتلاك .   ـ قتلانى ؟؟

ـ ذلك ما تريدانه ... انهما يريدان قتلك واخفاء جثتك
فى مكان ما .. فلا يعلم احد بعد ذلك بما يحدث لك .

فاجاب :

ـ هذا حسن من وجهة نظرهما .. ولهما كل الحق فى
أن يفكرا فى قتلى . ولكنى اذا لم اذهب اليهما ، فسوف
ياتيان الى . وهذا الباب لن يحول بينهما وبين الدخول...
وخير ما يجب عمله هو أن اذهب لمقابلتهما وتصفية الحساب.

فقالت له بلهجة الامر :   ـ اتبعنى .

وحملت المصباح الذى يضىء الغرفة . وذهبت الى مخدعها
.. ودفعت بيدها دولابا صغيرا للثياب فتحرك بسهولة لانه
يقف على عجلات ثم رفعت ستارا وقالت :

ـ هو ذا باب صغير لم يستعمل منذ بضعة اعوام لان ابى
يعتقد أن مفتاحه قد ضاع .. ولكن ها هو المفتاح . فافتح
به الباب . تجد امامك سلما يؤدى الى قاع البرج . وسترى
هناك بابا آخر ما عليك الا ان تحرك مزلاجه .. وتخرج منه
الى الحرية .

ونظر اليها لوبين .. ولم يصدق أذنيه ..

وفجأة .. ادرك مغزى سلوكها ... وشعر امام هذه
المخلوقة الحزينة الساذجة الهادئة ذات الوجه البرىء والعينين
الساحرتين . شعر بانه مخلوق حقير تافه .. اشبه بحشرة
وسط الزهور البريئة ..

وتلاشت الابتسامة عن شفتيه .. واحث بمزيج من الندم
على ما فعل .. ومن الاحترام لهذا الملاك الطاهر ..

همس :   ـ لماذا تريدين انقاذى ؟

فاجابت ببساطة :   ـ انك زوجى .

فهتف محتميا :

ـ كلا .. كلا .. اننى اختلست الاسم الذى تقدمت به
اليك . ولن يعترف القانون بمثل هذا الزواج الذى قام على
الغش والخداع .

فقالت :   ـ ان ابى لا يريد الفضيحة لى وله وللاسرة .

فاجاب بحدة :

نعم .. نعم .. هذا ما توقعته .. ولهذا اردت أن يكون
دمبواز الحقيقى على مقربة منك :

أنا الذى أمرت باطلاق بسراحة .. ليكون بجوارك حـ
يختفى .
اردت ان يحل محلى ويصبح زوجك .. انه الرجل الذ
اقترنت به على رؤوس الأشهاد .
ـ أنك الرجل الذى أقترنت به امام الكنيسة .
فاطرق برأسه لحظة ثم غمغم :
ـ الكنيسة .. الكنيسة ؟ ولكن توجد عشرات الوسا
لتصحيح الموقف ، فى نظر الكنيسة .. أن من السـهل الـ
الزواج .
ـ أى أساس ؟ وبأى مبرر ؟
فصمت ..
نعم .. انه لم يفكر فى هذا .. لقد غابت عنه كل د
الأشياء التى كانت تبدو لناظره تافهة لا قيمة لها ولا اعتبا
ولكن لها فى نظر أنجليك كل القيمة وكل الاعتبار .
هتف :
ـ هذا مخيف ... هذا مخيف ... كان يجب ان أتو
كل هذا واحسب حسابه .
وفجأة .. خطر له خاطر فعقد يديه جذل وصاح :
نعم .. نعم .. تذكرت الان .. ان لى فى الفاتـكـ
صديقان حميما لا يرفض لى طلبا .. ساوسط صديقى هـ
لدى قداسة البابا ليرخص لنا فى الطلاق .. ساتضرع ال
بكل ما اوتيت من قوة .. ولن يرفض قداسة البابا ضراعتـ
ورجائى .
قالت :
ـ أننى زوجتك امام الله .
ورمقته بنظرة لا تنطوى على الاحتقار او العداوة .
بل لا تنطوى حتى على الغضب ... فادرك انها لم تعـ

ترى فيه اللص الشرير ... والمحتال الجرىء ... ولكنه
أصبح فى نظرها مجرد رجل ..
قال لها ما قاله حين قابلها فى باريس ليلة أن سطا على
قصر أبيها :
ـ ما اجمل عينيك الهادئتين الحزينتين !!!
وادرك لوبين من اضطرابها وحيائها . وارتباكها . حقيقة
مشاعرها .
فلقد هبط عليها هذا المغامر الكبير الذى ذاعت شهرته ..
ولاكت الالسنة أسمه . وتناقل الناس قصصه ومغامـراته
ودعاياته .. وتحدثوا عن جرأته على الخير والشر .. هبط
عليها هذا البطل العجيب ذات مساء رغم جميع العقبات
والعوائق التى تنهض بينها وبينه .. وكان ظهوره امامها
شبيها بعمل من اعمال السحر ..
فاحبته بطريقتها الساذجة البريئة ..
وتاثر لوبين لحالها غاية التاثر .. واوشك ان يجـرفه
شعوره بالشفقة . والرحمة بها . وكاد فى نوبة من نوبات
الانسانية والكرم ان يهتف فيها دعينا نذهب من هنا .. دعينا
نهرب معا . أنك عروس أنك زوجتى .
ولكن انجليك رفعت اليه عينيها مرة أخرى .. بما فيها
من صفاء . ونبل . فاحمر وجهه بدوره .
كلا ... هذه ليست المرأة التى يقال لها مثل هذا الكلام ..
همس : ارجوك الصفح والمغفرة .. أننى وغد حقير تعس
وقد حطمت حياتك .
ولكنها اجابت فى رفق : كلا .. على العكس انك أرشدتنى
أين يجب أن الحياة الحقيقة .
ولم يفهم غرضها . واراد أن يسأل عما تعنى .. ولكنها

كانت قد فتحت الباب وأومات اليه بيدها كأنما تدعـو[ه] للخـــروج ..

ولم يبق بينهما ما يقال .. فخرج دون ان ينطق بكلمة .. ومر بها ورأسه منكس حتى ليكاد يمس الارض من فرط خجل[ه] وندمه . واحساسه بحقارته أمام هذا الطود الشـــامخ م[ن] البراءة والنبل وكرم الخلق .

وبعد شهر ... دخلت انجليك دى فندوم . زوجة ارسين لوبين الشرعية .. الى الدير وانضمت الى زمرة الراهبات تحت اسم الاخت مارى أوجست .. وهكذا دفنت حياتها بين جدران دير (سانت فنسان) .

وفى يوم الاحتفال برسمها راهبة .. تلقت رئيسة الدير رسالة ضخمة كتبت على غلافها هذه الكلمات :

« للفقراء الذين ترعاهم الاخت مارى أوجست » .

رفضت رئيسة الدير الرسالة . فوجدت بها خمسمائة ورقة مالية قيمة كل منها الف فرنك .



٤
سر الغواصة

كثيرا ما طرح على اصدقائى ومعارفى فى هذا السؤال :

ـ كيف أتيح لك أن تعرف ارسين لوبين ، اول ما عرفته؟

فما يخالج الشك احدا فى اننى اعرفه حق المعرفة .. اذ ان التفاصيل الدقيقة التى اقدمها عن شخصيته المحيرة، والوقائع الثابتة التى ابسطها ، والادلة الصحيحة التى أدلى بها ، والتعليل الدقيق الذى أشرح به بعض الوقائع التى غمض سرها على الآخرين فلم يرى سوى مظهرها الخارجى دون أن يستطيعوا ادراك كنهها كل ذلك وان كان لا يدل على

رابطة وثيقة بين لوبين وبينى ، فانه ينم عن صلة من الصداقة والثقة المطردة بيننا ..

واخيرا فان المصادفة كذلك هى التى جعلت منى ممثلا فى مسرحية كان هو مدير المسرح فيها والاصبع المحـــرك لها .. مسرحية غامضة معقدة مليئة بالمفاجآت والفواجع الخارقة ، بحيث يتملكنى الذهول وتستبد بى الحيرة عندما اجلس الآن لوصفها ..

بدا الفصل الأول من هذه المسرحية فى تلك الليلة الخالدة بين الليالى ، ليلة الثانى والعشرين من شهر يونيو ..

وانى لا سارع الى الاعتراف بان السبب فيها بدا من مسلكى الغريب فى تلك الليلة ، انما يرجع الى الحـــالة النفسية الشاذة التى كنت عليها عندما أويت الى منزلى .. فقد تناولت العشاء مع ثلة من الاصدقاء فى مطعم (لاكاسكاد) المعروف ، وبينما اخذنا فى خلال السهرة ندخن لفائفنا ونستمع الى الفرقة الموسيقية المجرية وهى الحان الفالس الحزينة ، كان الحديث يدور بيننا حول جـــرائم القتل والسطو المروعة التى تبعث تفاصيلها على الرعب والفزع..

وتلك لعمرى اسوا بداية عندما يكون المرء مقبلا على النوم .. وانصرف آل سان مارتان فى ســيارتهم .. أما جان داسبرى .. داسبرى الرشيق الطروب ، متعة المجلس ومؤنس المجتمعات .. داسبرى المنكود الذى جرى القضاء بان يلقى حتفه بعد ستة شهور فى ظروف اليمة على الحدود المراكشية .. اما داسبرى وانا فقد مضينا سيرا على الاقدام ، فى الظلمة الحالكة والجو الخانق الحار ، حتى منزلى الصغير فى شارع مالو بحى نويلى ، حيث كنت اقيم خلال الاثنى عشر شهر الاخيرة .. واذ بلغنا المنزل تصافحنا ..

وانصرف داسبرى فى طريقه . اخرجت مفتاحى وفتحت الباب وما لبثت ان قلت لنفسى :

ـ عجبا ! لقد نسى انطوان أن يترك لى شمعة مضاءة !.

ولكنى عدت فتذكرت فجاة أن خادمى انطوان ليس فى المنزل فقد منحته أجازة الليلة ! وانقبض صدرى لهذا الظلام الدامس والسكون الموحش ، فاسرعت بما وسعنى من جهد حتى ارتقيت الدرج وبلغت حجرتى .. وعندئذ اوصدت الباب من الداخل بالمفتاح ، على غير مالوف عادتى، ثم دعمته بالرتاج الحديدى وهو ما لم فعله قط من قبل ..

واشعلت احدى الشموع .. فاعاد الضوء الى نفسى بعض سكينتها .. ومع ذلك فقد اخرجت مسدسى الضخم من جرابه ووضعته على الخوان بجوار الفراش .. وكانما افرخ روعى بعد هذه الحيطة التى اتخذتها ، فما لبثت أن أويت الى الفراش وتناولت كعادتى ، الكتاب الذى اقرا فيه قليلا كل ليلة استجلابا للنوم !

وكانت تنتظرنى عندئذ مفاجاة رهيبة ...

فحيث الفاصل الذى أضعه بالكتاب للدلالة على الصفحة التى وقفت عندها ، وجدت غلافا صغيرا مختوما بالشمع الأحمر .. ما كدت اقلبه فى لهفة حتى الفيته معنونا باسمى وعليه كلمة « عاجل » ..

يا الهى ! .. هذا الخطاب .. هذا الخطاب الموجه لى .. كيف وضع هنا ؟ .. ومن الذى استطاع ان يتسلل الى مخدعى فيضعه فى كتابى ؟ ..

وفضضته باصابع مرتعدة ، وقد توترت اعصابى .. فاذا به رسالة هذا نصها :

« من اللحظة التى تقرا فيها هذا الخطاب ، عليك ان تلبث

ساكنا مهما حدث ، ومهما سمعت .. واياك ان تاتى بحركة او تنبس بصوت .. فماذا فعليك العفاء ! .. »

وما كنت جبانا بدورى .. وكنت اعرف كيف يخلق بالرجل ان يواجه الخطر الحقيقى ، أو يبتسم للاوهام التى تتملك مخيلته .. ولكنى اعود فاقرر اننى كنت فى حالة نفسية شديدة الاضطراب ـ كما مر القول ـ ورغم ذلك فان فى هذه الرسالة ما يبعث على القلق .. ان فيها شيئا لا استطيع ان ادرك كنهه ، ولكنه يكفى لازعاج اشد النفوس هدوءا وسكينة

وكانت اصابعى تبعث بالرسالة فى حركة مستمرة تنم على الانفعال ، بينما تعلقت أنظارى بتلك الكلمات التهديدية :

« .. اياك ان تاتى بحركة أو تنبس بصوت .. فاذا فعلت ، فعليك العفاء » .

قلت لنفسى :

ـ هراء .. هذه مزحة سخيفة لاشك فيها ..

وكدت اضحك ساخرا من الرسالة ومن نفسى . بل لقد هممت أن انفجر مقهقها بصوت عال .. ترى ما الذى منعنى واى فزع غامض يضغط على حلقى ؟

واخيرا هممت بان اطفىء الشمعة واحاول النوم .. ولكنى لا لم يعد بوسعى أن اطفئها فالرسالة تقول : « اياك ان تاتى بحركة » وهكذا لم يبق الا ان أغمض عينى فاغمضتهما .

وفى تلك اللحظة شق السكون صوت خافت تلته ضوضاء وجلبة اخرى .. بدا لى انها تنبعث من الحجرة الفسيحة المجاورة ، التى اتخذتها مكتبا لى ، ولا يفصلنى عنها الا الممر .

وكان لاقتراب الخطر ما اشعل نار الحماسة فى صدرى .. فشعرت باننى سوف اقفز من الفراش ، وامسك بمسدسى ثم اندفع الى الحجرة المجاورة ..

ولكنى لم اقفز من الفراش .. ففى تلك اللحظة رايت ا
استار النافذة اليسرى يتحرك امام عينى ..

لقد تحرك الستار ، ما فى ذلك شك او ريب .. وها هو
يزال يهتز الآن .. بل لقد رايت فى وضوح أنه فى الفرج
الضيقة التى بين الستار والنافذة كان يقف شبح انسان وق
حال جسمه دون بقاء الستار ساكنا ..

وما من شك كذلك فى ان الشبح قد راى .. فهو يستط
رؤيتى فى جلاء من الثغرات التى فى قماش الستار .. وعند
فهمت كل شىء فبينما كان الاخرون يسطون على مقتني
كانت مهمته هو ان يبعث الرعب الى قلبى .. وغـــدا
المستحيل ان اقفز من الفراش او امسك بالمسدس .. ف
اقل حركة من جانبى ، أو اقل صوت ينبعـث من جهتى
سوف يدفعنى الى موت محقق ..

واهتز المنزل كله من طرقة عنيفة تلتها طرقات اخـر
تنبعث متوالية ، كانها وقع مطرقة ضخمة .. وفى خلا
ذلك لم تنقطع الاصوات الاخرى .. مما يدل على ان زائر
الكرام كانوا يعملون فى اطمئنان بالغ كل ما يحلو لهم ويطيب
وكانوا على حق فى ذلك .. فما تحركت من مكانى قيد
انملة .. ترى هل كان ذلك عن جبن وخوف ؟ .. كلا
بل الواقع اننى كنت كانما وقعت فى غيبوبة .. ولم يعد
بوسعى أن احرك عضلة واحدة فى جسمى .. ولعلها كانت
حكمة منى ايضا .. فلماذا النضال والقتال ؟ .. ان ورا
هذا الرجل عشرة آخرين سوف يخفون لنجدته وشد ازره ..
فهل يستحق الامر ان اعرض حياتى للخطر فى سبيل انقا
بعض الصور والتحف ؟ ..

ودام هذا العذاب الليل بطوله .. عـذاب لا يطاق و
ذريع لا يحتمل .. وكانت الضوضاء قد سكنت ، والاصوات

الاخرى قد انقطعت ، ولكنى لم اكف لحظـــة عن ترقب عودتها من جديد .. ثم هذا الرجل ؟ .. هذا الرجل الذى يقف خلف الستار يرقبنى . وسلاحه فى يده ؟ . فما كفت انظارى الهالعة عن التحديق فيه .. وكان قلبى يخفق فى عنف ، والعرق يتصبب من جسمى كله باردا غزيرا .

وفجاة غمرنى شعور عميق من الراحة والطمانينة .. لقد سمعت صليل عجلات عربة اللبن وهى تمضى فى الطريق .. وكنت اعرف ذلك الصوت جيدا .. وعند ذلك تبينت ان الفجر قد بزغ وان ضوءه الباهت يتسلل الى الحجرة خلال الاستار المسدلة على النوافذ ..

وتوالى مرور عربات اللبن والخضار الاخرى . وازداد الضوء فى الحجرة .. وعندئذ بدات الاشباح تتلاشى بعد ان ملات حجرتى الليل كله .

فمددت يدى خارج الفراش فى بطء وحـذر .. ولم أر شيئا يتحرك وراء ستار النافذة .. فامعنت النظـــر الى البقعة الداكنة لأحدد الموضع الذى ينبغى أن احكم التصويب اليه .. ورحت اقدر حركاتى فى حساب دقيق .. وما لبثت أن تناولت المسدس فى لمح البصر ثم اطلقت النار .. !

ووثبت فى الفراش وأنا أصيح فى فـــرح وحشى .. واندفعت نحو الستار .. ورأيت به ثقبا لا يزال الدخان ينبعث من اطرافه ، كما وجدت ثقبا آخر فى مصراع النافذة خلفه .

أما الرجل فلم اصبه ..

وكان لذلك سبب واضح بسيط .. هو انه لم يكن يوجد خلف الستار أى رجل على الاطلاق ..

لم يكن يوجد احد .. وهكذا كان الامر طول الليل ..

كانت ثنية كبيرة من الستار هى التى شغلت حواسى كل
المدة ، وجعلتنى اشبه بشخص ينام نوما مغنطيسـ
وفى تلك الاثناء كان الاشقياء يعبثون بحجراتى .. واندفع
من الفراش وقد استبد بى حنق عظيم ففتحت باب الحج
واجتزت الممر ثم فتحت بابا آخر وانقضضت داخلا .

وعندئذ جمدت فى مكانى كالماخوذ .. كانت دهشـ
اعظم من تلك التى تملكتنى عندما تبينت عدم وجود اح
خلف الستار .. فلم يختف شىء من الحجرة ولا نقص
مقتنياتى اصغر ما فيها .. وكل تلك الاشياء التى توقع
سرقتها واختفاءها .. الاثاث والصور والمعلقات الحرير
النفيسة وغيرها .. كل هذه الاشياء كانت فى مواضيعها

ولكن الذى زاد من ضيقى وحنقى هو اننى لم اجد ا
واحدا ينم عن مرور الاشقياء بتلك الحجرة .فما من
تزحزح عن موضعه ، وما من اثر لقدم او علامة ليد .

وامسكت براسى بين يدى وغمغمت اقول لنفسى : ان
لم اجن بعد ، ولم اثقل فى الشراب ، ولا ريب اننى سمعـ
ما سمعته حقا .

وعدت افحص الحجرة بوصة بعد بوصة ، وشبرا بـ
شبر ، مستخدما ادق ما عرفته من اساليب البحث ، ولكـ
لم انته الى شىء .. والا فهل اعتبر ما وجدته اكتشافا
قيمة ؟ فقد رفعت طرف احد الابسطة الفارسية الثمينـ
المفروشة على الارض ، واذا تحتها ورقة من ورق اللعب
وكانت سبعة الكوبا (القلب) .. وهى ورقة كاية واحدة
ورق اللعب الفرنسى .. ولكنها استرعت انتباهى لشـ
عجيب تبينته فيها ، فقد كان الطرف الاسفل لكل من القـ
الحمراء السبعة مثقوبا ثقبا صغيرا مستديرا منظما .

كان هذا ما وجدته ..ولا شىء غيره .. ورقة من ورق اللعب ، وخطابا داخل كتاب .. فهل يكفى ذلك للدلالة على اننى لم اكن ضحية حلم رهيب ؟ ..

وكان اليوم التالى هو المخصص للصفحة التى احررها بجريدة (جيل بلاس) .. ولما كنت لا ازال متـأثرا من مغامرتى هذه فقد رحت ارويها بالتفصيل الدقيق على صفحات الجريدة .

وقد تلقى القراء مقالى فى غير اكتراث ، ونظروا اليه بحسبانه قصة خيالية اكثر منها حادثا حقيقيا .. بل ان آل ـان مارتان راحوا يسخرون منى ومن قصتى ..

اما صديقى داسبرى ، وهو على كثير من الخبرة فى مثل هذه الامور ، فقد حضر لمقابلتى وطلب منى ان اشرح له القصة كلها بادق تفاصيلها واخذ يدرسـها معى .. ولكنه لم يوفق الى تعليل لها باكثر مما وفقت ..

وما مضت بضعة ايام حتى قرع جرس الباب الخارجى ذات صباح ، ثم اتى خادمى انطون ليبلغنى ان رجلا يريد مقابلتى ، ولكنه رفض ان يذكر اسمه . فامرته باحضاره .

وكان الرجل فى نحو الاربعين من العمر ، شديد السمرة، ذا ملامح بادية الصرامة وكانت ثيابه ، على قدمها ، نظيفة تنم على ذوق سليم ، ولو ان الرجل نفسه كان عامى الحركات

ومضى زائرى نحو هدفه قدما ، فقال فى صوت متهدج ولكنه اجنبية :

ـ لقد كنت مسافرا يا سيدى ووقعت انظارى على مقالك فى صحيفة (جيل بلاس) فى احدى المقاهى فقرأته فى امعان واهتممت به كل الاهتمام .

ـ شكرا لك ..

- ولما عدت من رحلتي أتيت اليك من فوري .. فهل جميع الوثائق التي ذكرتها صحيحة ؟ ..

- كل الصحة ..

- أليس فيها واقعة واحدة ابتكرتها مخيلتك ؟ ..

- كلا البتة ..

- في هذه الحالة من المحتمل ان تكون لدى معلوم يمكن أن ادلي بها اليك ..

- ارجوك ان تعجل بها اذن ..

- كلا ..

- ماذا تعني بحق الشيطان ؟ ..

- قبل ان أقول حرفا واحدا ينبغي ان استوثق أولا انني على صواب ..

- وما السبيل الى ذلك ؟

- هو ان أبقى بمفردي برهة في تلك الحجرة ..

فتطلعت اليه في دهشة وقلت مغمغما :

- لست افهم تماما ..

- انها فكرة طرأت لي عندما قرأت مقالك .. فان بعض الوقائع التي ذكرتها تنشيء توافقا عجيبا بين مغامرة هذه ومغامرة اخرى عرفت بها بمحض الصدفة .. فاذا كـ مخطئا في استنتاجي فمن الخير ان اخلد الى الصمت والسبيل الوحيد الى التأكد من ذلك هو ان اظل منفرد

ترى ما الذي يرمي اليه الرجل من وراء هذا الاقتراح وقد ذكرت فيما بعد أن الرجل اذ كان يطلب مني ذلك ، يبدو قلقا وفي عينيه لمحة تنم على اللهفة .. ولكـ وقتئذ على الرغم من دهشتي ، لم أر فيما يطلبه شـ خارقا غير مألوف ، فضلا عن أن فضوله قد اثارني فقلت :

- حسنا .. كم من الوقت يكفيك ؟

- آه ! .. حسبي ثلاث دقائق .. وهذا كل شيء .. وسوف اعود اليك بعد هذه الدقائق الثلاث ..

فغادرت الحجرة وهبطت الى الطابق الاسفل ، حيث اخرجت ساعتي .. لقد مضيت دقيقة .. ثم دقيقتان .. ولست ادري سر ذلك الانقباض الذي تملكني وقتئذ .. ورحت اتساءل لماذا تمضي هذه الدقائق متثاقلة بطيئة .

دقيقتان ونصف .. دقيقتان وخمس وأربعون ثانية .

وعندئذ سمعت فجاة طلقا ناريا يدوي في جنبات المنزل ! ..

فاندفعت نحو الدرج ارتقيه في بضع وثبات .. وولجت الحجرة .. واذا بصيحة فزع عالية تنطلق من شفتي ..

كان الرجل ملقى على جنبه الايسر بلا حراك .. والدم ينبثق من رأسه ، على حين كان يمسك بيده مسدسا لا يزال الدخان ينبعث من فوهته ..

وانتفض جسمه انتفاضة اخيرة .. ثم انتهى كل شيء ..

بيد انه كان هناك شيء استرعى انتباهي اكثر من هذا المنظر المروع .. شيء جعلني اتريث قليلا في الاستغاثة او الركوع بجوار القتيل لارى ان كانت لا تزال به بقية من الحياة ! ..

فعلى قيد خطوتين منه كانت على الارض ورقة من ورق اللعب هي سبعة الكوبا ..

وعندما التقطتها لا تاملها عن كثب الفيت الاطراف السفلى للقلوب السبعة جميعها مثقوبة ثقوبا منتظمة مستديرة ! ..

وبعد نصف ساعة وصل قوميسير البوليس ، وما لبث أن تبعه الطبيب الشرعي ، ثم مسيو ديدوي مدير ادارة المباحث

الجنائية .. وقد كنت حريصا على الا المس الجثة .. وبذ
لم اتدخل بما قد يفسد عمل هؤلاء الاخصائيين .. وكان
ملاحظاتهم قليلة فى بادىء الامر .. فلم يكتشفوا شـ
ذا اهمية . ولم يجدوا فى جيوب القتيل اوراقا تحـ
اسـمه .. كما كانت ثيابه لا تحمل اية علامة تهدى ا
مكان شرائها .. وبالاختصار لم يكن ثمة شىء ينم ع
شخصيته ...

اما الغرفة نفسها فكانت فى نظامها العادى .. فلم يتحر
شىء من محتوياتها التى كانت جميعها فى مواضعها الا
.. ومع ذلك فان الرجل لم يحضر الى هناك لمجرد الانتـ
فى منزلى .. لا ريب ان هناك باعثا معينا دفعه الى ال
فقتل نفسه .. ولا ريب كذلك فى ان هذا الباعث قد نـ
من امور اكتشـفها خلال الدقائق الثلاث التى قضاها فى
الحجرة منفردا .

ولكن ما هذه الامور ؟ .. وما الذى رآه او اكتشفه ؟..
وأى سر رهيب عثر عليه ؟ .. ذلك ما لا استطيع ا
اعرفه .

وفى اللحظة الاخيرة حدث امر خيـل الينا انه ع
جانب كبير من الاهمية .. فقد انحنى رجـال البولـ
ليرفعوا الجثة توطئة لوضعها فوق احدى النقالات لتحـ
الى معرض الجثث ، فاذا بيده اليسرى التى كانت مطبقة
قد تراخت وسقطت منها بطاقة زيارة مغضـنة .. وكانـ
البطاقة تحمل هذه الكلمات : « جورج اندرمات ...
شارع بيرى » ..

ترى ما معنى ذلك ؟ كان جورج اندرمات احـد كـ
رجال الاعمال فى باريس .. فهو مؤسس ورئيس مجلـ
ادارة شركة اتحـاد المعـادن التى كانت تقوم بقسـ

وافر فى انعاش تجارة المعادن بفرنسا .. وكان يقيم فى قصر عظيم ويعيش عيشة باذخـة ، ويقتنى كثيـرا من السيارات واسطبلات لخيول السباق .. وكانت الحفلات التى يقيمها تزخر بالصفوة من اهل باريس كما كانت مدام اندرمات مشهورة بسحرها وجمالها الفاتن ..

وغمغمت اقول :

- ايكون هذا اسم الرجل ؟

ولكن رئيس المباحث انحنى ليتامل الجثة ثم قال :

- كلا .. فان مسيو اندرمات رجل نحيل الوجه وقد بدأ الشيب يخط شعره ..

- سوف نرى .. هل تسمح لى باسـتخدام التليفون يا سيدى ؟

- بلاشك .. انه فى الردهة ..

وصحبته الى التليفون حيث اتصل باندرمات وطلب اليه ان يأتى باقصى سرعة الى رقم ١٠٢ بشارع مالو .

فلم تمض عشرون دقيقة حتى كان مسيو اندرمات يهبط من سيارته امام المنزل .. فاخبره مدير الشرطة بالسبب الذى دعاه من اجله ، ثم صحبه الى الحجرة العليا ليرى الجثـة .

وما كادت تقع انظاره عليها حتى بدا عليه الانفعال .. وقطب حاجبيه وهو يغمغم فى صوت خافت كأنما افلتت الكلمات من فمه رغم ارادته :

- بالله ! .. انه اتيين فاران !

- هل تعرفه يا سيدى ؟ ..

- كلا .. او اعرفه بالنظر فقط .. فان اخاه ..

- آه ! هل له اخ ؟

ـ نعم .. الفريد فاران .. وقد اعتـــاد ان يتردد عل
ليسالنى ان اساعده .. ولست اذكر الآن فيمـــا كان بر
مـاعدنى ..

ـ هل تعرف اين يقطن ؟

ـ لقد اعتاد الاخوان ان يقيما معا .. فى شارع بروفان
على ما اظن ..

ـ اليست لديك فكرة عن السبب الذى يدفعه لاطـلا
النـــار على نفســه ؟

ـ كلا البتة ..

ـ ومع ذلك فقد كان يمسك ببطاقتك فى يده ..

ـ هذا مالا استطيع فهمه .. فلا ريب أنهـــا محـ
مصادفة سوف يكشف التحقيق عنها .

لاشك انها ـ فى رأى ـ مصادفة عجيبـــة تلك الر
يزعمها مسيو اندرمات ! واحسب ان شعور الآخــرين ف
ذلك كان شبيها بشـــعورى .. بل لقد تبينت ان الر
العـام يشاطرنى شـــعورى هذا عندما قرأت صحف الصبا
وعندما تناقشت فى الحادث مع اصدقائه ..

وكان ينبغى ان تكون هذه البطاقة بشيرا بانبثاق الضو
الذى يبدد ظلمات هذه الحوادث .. بعـــد ان زادت م
تعقيدها ورقتا اللعب المتشابهتان (سبعة الكـوبا) ذا
الثقوب السبعة فى كل منهما .. وهذان الحادثان الغريبا
اللذان كان منزلى مسرحا لهما .. فبواسطة هذه البطا
قد يصل البوليس الى الحقيقة ..

ولكن مسيو اندرمات ، على عكس ما توقعه الجميع
لم يقدم مفتاحا واحدا لهذا اللغز . وكان لا يفتأ يردد :

ـ لقد قلت كل ما اعرفه .. فماذا بوسعى ان افعـــل
اكثر من ذلك لقد كنت انا اول من صعق لهذه المفاجـــأة
عندما علمت ان بطاقتى وجدت حيث كانت .. وانى كاى
شخص آخر انتظـــر فى لهفة جلاء هذا الامر ..

ومع ذلك فان هذه النقطة لم يمكن جلاؤها .. وقـــد
اظهر التحقيق أن الاخوين فاران ، وهما من أصل سويسرى ،
كانا يعيشـــان عيشـــة مريبـــة ، بأســماء مســـتعارة
ويرتادان بيوت الميسر ، وعلى صـلة وثيقة بعصابة من
الاجانب كانت حركاتها موضع مراقبة رجـــال البوليس
وقـــد تشـــتت شـملها عقب عـــدة حوادث من حوادث
السطو ، ولو ان اشتراك الاخوين فى هذه الحوادث لـم
يثبت الا فيما بعـــد .. وقد ظهر أن الاخوين فاران كانـا
يقيمان فى المنزل رقم ٢٤ بشارع بروفانس منذ ست سنوات
ولكن لا يعرف احد ما انتهى اليه امرهما بعد ذلك ..

وانى أقرر فى صراحة اننى من جانبى كنت اعد القضية
من الغموض فى تحاشى التفكير فيها وفى ابعادهـــا عن
مخيلتى .. غير أن جان داسبرى ، وقـــد كنت اراه كثيرا
فى تلك الاونة ، كان يزداد اهتماما يوما بعد يوم ..

بل لقد كان هو الذى استرعى انتباهى الى الفقرة التالية
التى نشرت فى صحيفة اجنبية وكانت موضع التعليق من
الصحف المحلية :

« سوف يتم فى القريب العـــاجل تجربة غواصة جديدة
بحضـــور الامبراطور .. ويقال دفاعـــا عن هذه الســـفينة
انها ستحدث ثورة جسيمة فى الملاحـــة فى المستقبل ..
وسوف يظل مكان التجربة سرا حتى اللحظة الاخيرة ..
ولكن الاســـم الذى اطلق على هذه الغواصة تسرب الينـــا

من بعض المصـــادر السرية فقد اطلق عليها اسم (سبـ
الكوبا) » .
سبعة الكوبا ؟ .. ترى هـل هذا مجـــرد توافق ف
الخواطر ؟ .. ام ان هناك صلة بين اسم الغواصة الجديـ
وبين الحوادث التى قصصتها ؟ .. ولكن ما كنه هذه الصلـ
.. اننى لست ارى أمكان وجود اية عـــلاقة بين ما حد
هنا وبين ما يجرى فى المانيا ..
ولكن جان جان داسبرى قال :
ـ ومن اين لك ان تعرف الحقيقية ؟ .. غالبا ما تنبع
معظم الحوادث التى تبدو متباعدة ، من مصدر واحد .
وبعد يومين نشرت الصحف نبذة جـــديدة نقـــلا ع
الصحافة الالمانية ، وقـــد جاء بها :
« لقد عرف الآن ان « سبعة الكوبا » وهى الغواصـ
التى ذكرنا ان تجربتها ســـوف تتم وشيكا ، قـــد و
تصميمها مهندســــون فرنسيون ويقال ان هؤلاء المهند
بعد ان يئسوا من معـــاونة حكومتهم لهم ، لجاوا الى
الامبراطية البريطانية ، فكان مآلهم الفشـــل .. وغنى ع
الذكر اننا ننشر هذه المعلومات فى كثير من التحفظ .. »
ومع انى احاذر كثيرا من التدخل فى هذه المســ
السياســـية الشائكة ، الا اننى أجـــد من واجبى ان انـ
مقالا نشر فى صحيفة (صوت فرنســـا) واثار ضـ
عظيمة فى ذلك الحين ، اذ القى شيئا من الضـــوء ع
قصة سبعة الكوبا كما كانت تدعى وقتئذ ..
وهانذا انقل هذا المقـــال كما نشر بتوقيع « سلفاتور »



« قصة سبعة الكوبا »

ازاحة جانب من الستار عنها

« سوف نوجز القول ، فنذكر انه حدث منذ عشرة اعوام ان استقال لويس لا كومب ، وهو مهندس شاب من مهندسى المناجم ، من عمله ، رغبة منه فى تكريس وقته وماله للابحاث التى يقوم بها ، واستأجر منزلا صغيرا هو رقم ١٠٢ شارع مالو ، وهو منزل كان قد شيده حديثا ورسم نقوشه نبيـــل ايطالى .. وبواسطة اخوين يدعيان فـــاران ، وهما من لوزان ، كان احدهما يعاونه فى تجاربه على حيـــن راح الآخر يسعى فى الحصول له على المعونة المالية ، استطاع لاكومب ان ينشىء علاقة بينه وبين مسيو جورج اندرمـات الذى كان قد اسس للتو اتحاد المعادن الباريسى ..

وبعد عديد من الاتصالات والمقابلات نجح فى اثارة اهتمام مسيو اندرمات بتصميم الغواصة التى كان يشـــغل فى اختراعها .. وكان المفهوم انه بمجرد اتمام الاختراع فان مسيو اندرمات ســـوف يستخدم نفوذه فى اقنـــاع وزير البحرية بالموافقة على سلسلة من التجارب عليه ..

وظل لويس لاكومب عامين كاملين يتردد على دار اندرمات ويعرض على المالى نتائج التحسينات التى يدخلها على اختراعه ، الى ان اتى اليوم الذى وصل فيه الى التصميم الاخير الذى كان يسعى وراءه حتى اذا مارضى عن نتيجة عمله طلب الى مسيو اندرمات أن يبدأ المهمة الذى تعهـــد بهـــا ..

وفى ذلك اليوم تنـــاول لاكومب طعام العشـــاء على مائدة

آن اندرمات .. ثم غادر المنزل فى الحادية عشرة والن
مســاء ..

ومنذ ذلك الحين لم تقع على لويس لاكومب عين انـ

وبالرجوع الى الصحف الصادرة فى ذلك الحين ، نـ
ان عائلة المهندس الشاب ابلغت البوليس عن اختفائ
كما ان المدعى العام تولى تحقيق الامر بنفسه .. ولـ
التحريات لم تسفر عن اية نتيجة .

ويسرى الاعتقاد بان لويس لاكومب ، وقد كان يعد
غريب الاطوار منطويا على نفسه ، قد ســافر الى الخا
دون ان يخبر احدا من اهله او اصدقائه بعزمه ..

ولو قبلنا هذا الفرض ، وهو بعيد الاحتمال الى حد ما
فاننا نجد انفسنا امام ســؤال على جانب كبير من الاهـ
والخطورة بالنسبة للوطن .. ماهو : ما الذى انتهى اليـ
امر الاختراع ؟ . وهل اخذ لويس لاكومب رسوم الغو
معه ؟ أم انها اتلفت او اعدمت ؟ ..

وقد قمنا بتحريات واسعة النطاق انتهت الى ان ر
الغواصة لا تزال موجودة .. وانها كانت بين أيدى الاخو
فاران . فكيف استطاعا الاستيلاء عليها ؟ .. هذا ما
نفلح فى استقصائه بعد ، كما لم يمكنا معرفة السبب
انهما لم يحاولان بيعها قبل ذلك .. ولعلهما خشيا ان يسـ
عن كيفية حصولهما عليها .. ومهما يكن من امر فان
الخوف ما لبث ان تلاشى على مر السنين ، وها نحن
فى مركز يتيح لنا ان نقرر ان تصميم غواصــة لويـ
لاكومب اصبح الآن ملكا لحكومة اجنبية .. بل اذا دعـ
الضرورة فان فى وسعنا نشر الخطابات التى تبودلت بـ
ممثلى تلك الدولة وبين الاخوين فاران ..

وقد علمنا عند كتابة هذه السطور آن الغواصــة
(سبعة الكوبا) التى اخترعها لويس لاكومب قد اخرجها
جيراننا الى حيز الوجود .. وهم يهمون الان بتجربتها ..
فهل تجلب التجربة آمال اولئك الرجال الذين ارتكبوا اثم
هذه الخيانة ؟ .. ان لدينا من الاسباب ما يدعو الى ان
نرجو ذلك .. بل اننا لنهنىء انفسنا من الآن بان الحوادث
ستحقق ما نقــول .. » .

« لقد كان ما رجوناه صحيحا كل الصحة .. فلقد تلقينا
من مصادرنا الخاصة ، ساعة مثول الصحيفة للطبع ، انباء
هامة تدل على ان تجربة الغواصة (سبعة الكوبا) لــم
تؤد الى نتائج مرضية .. والارجح ان الرســم التى
تلقتها الاخوان فاران كانت تنقص المســتند الاخير الــذى
احضره لويس لاكومب الى مسيو اندرمات ليلة اختفائه ..
وهو مستند ضرورى لفهم الاختراع فهما كاملا ، اذ هو ملخص
للنتائج والمعادلات المبينة تفصيليا فى الرســوم والاوراق
الاخرى .. وبدون هذا المســتند تظل الرســوم غير تامة
كما أنه عديم الجدوى ما لم تكن معه الرسوم ..

« لذلك فان الفرصة لم تضــع منــا بعد للعمل الجــدى
واسترداد ما يخصــنا . ونحن نعتمد كل الاعتماد فى هذه
المهمة العسيرة على معونة مسيو اندرمات .. كما اننا فى
لهفة الى ســماع ايضاحه للمسلك الغريب الذى ســلكه
منذ البداية .. وعليه ان يقول لنــا لماذا لم يخبرنا بمــا
يعرفه عندما انتحر اتيين فاران ، ولماذا لم يذكر قط شيئا
عن ضياع الاوراق التى كانت فى حوزته ؟ .. وســوف يقول
لنا ايضا السبب الذى حــدا بــه الى مراقبة الاخــوين

متأججة الأوار .. لذلك لم أجد ما يمكن أن أقوله كما انـ
لزمت الصمت بالمثل ..

بيد أن داسبرى ، ولم يكن قد كف لحظـــة عن التفر
فيها ، نهض من مكانه واقترب منها قائلا :

ـ هل تسمحين لى أن ألقى عليك بضعة أسئلة ياسيدتي
فصاحت :

-- نعم .. نعم .. سوف اتكلم اذا فعلت .

ـ هل تتكلمين .. مهما كانت الاسئلة ؟

ـ أجـل .. مهما كانت .

ففـكر لحظـة ، ثم سـألها :

ـ هل كنت تعرفين لويس لاكومب ؟

ـ نعم .. عن طريق زوجى .

ـ متى رأيته أخر مـرة !

ـ فى الليلة التى تناول فيها طعام العشاء معنا .

ـ ألم يحدث فى تلك الليلة ما أوحى اليك انك لن تر
ثانيـــة ؟ ...

ـ كلا ... فقد قال شيئا عن اعتزامه القيام برحلة الى
روسـيا . ولكنه مجرد تلميح مبهم .

ـ وعلى ذلك كنت تتوقعين رؤيتة قريبا ؟

ـ **نعم .. بعد يومين** .. لتناول العشاء معنا أيضا .

ـ وكيف تعللين اختفاءه اذن ؟ ..

ـ ليس فى مقـدورى أن أعلله ..

ـ ومسيو اندرمات ؟ ..

ـ لا أدرى .. ولا تسألنى عن ذلك ..

ـ ومع ذلك فان المقال الذى نشر بصحيفة صوت فرنسا
يوحى بأن ...

ـ أن ما يوحى بلا هو أن الاخوين فاران لهما صلة باختفائه

ـ أهذا رأيك أيضـــا ؟ ..

ـ نعـم ..

ـ وعلى أى شىء تبنين أعتقادك هذا ؟ ..

ـ عندما غادر لويس لاكومب منزلنا ، كان يحمل حافظة
تحوى جميـــع الاوراق المتعلقة باختراعه .. وبعد يومين
اجتمع زوجى مع أحد الاخوين ، وهو الذى لا يزال على
قيـد الحياة ، وعلى أثـــر ذلك الاجتماع أقتنـع زوجى
بأن هذه الاوراق قـد غـدت فى حوزة الاخوين ..

ـ ومع ذلك فانه لم يتقدم بالشكوى ضدهما ؟ ..

ـ كـلا ..

ـ لماذا ..

ـ لان الحافظة كانت تحوى شيئا آخـــر بجانب الاوراق
اختراع لويس لاكومب ..

ـ وما هو ذلك الشىء ؟ ..

فترددت السيدة ، وبدأ كأنها تهم بالاجابة وأخيرا أخلدت
الى الصمت ، فاستطرد داسيرى :

ـ اذن فهذا هو السبب الذى جعـــل زوجـــك يراقب
الاخوين بواسطة المخبرين الخصوصيين دون أن يلجأ لرجال
البوليس ؟ .. كان يرجو أن يستعيد أوراق الاختراع وذلك
الشىء الآخر الذى كان الاخوان يستخدمانه فى ابتزاز المال
منه بالتهديد ؟ ..

ـ نعم .. منه .. ومنى ! ..

ـ آه ! .. منـك أيضـــا ؟ ..

ـ منى بصفة خاصة ..

نطقت بهذه الكلمات الثلاث فى صوت أجوف ، فرمقها

داسبرى مليا ، ثم سار بضع خطوات وما لبث أن عاد اليها قائلا :

- هل أعتدت أن تكتبى الى لويس لاكومب ؟

- بلا شك . فان زوجى كان يمل من أجله .

- دعينا من هذه الخطابات الرسمية ، ألم تكتبى الى لاكومب خطابات أخرى ، أرجو أن تغفرى لى هذا الالحاح ولكن من الضرورى أن أعرف الحقيقة بحذافيرها . هل كتبت اليه خطابات أخرى ؟

فاشتد أحمرار وجهها . وغمغمت : نعم .

- وهل هذه الخطابات هى التى وقعت فى يد الاخوان فاران ؟

- نعم .

- اذن فقد عرف مسيو اندرمات كل شىء ؟

- أنه لم ير الخطابات قط . ولكن الفريد فاران أخبره بوجودها وتوعده بنشرها فى الصحف اذا ما اتخذ زوجى أية خطوة ضده . فخاف زوجى خشية الفضيحة .

- ولكنه بذل كل جهده لاسترداد الخطابات منهما ..

- نعم .. أو هذا على الاقل ما أعتقده ، فانه منذ ذلك اليوم الذى أجتمع فيه بالفريد فاران ، وبعد تلك الكلمات القلائل القاسية التى صارحنى فيها بالامر ، لم تعد الصلة بينى وبين زوجى كما كانت من قبل ، اذ فقدت الثقة بيننا وأصبحنا نعيش معا كائنين من الغرباء .

- اذا كان الامر كذلك ، واذا لم يكن لديك ما تخشين ضياعه ، فلماذا تخافين ؟ .

- اننى مهما كان من أمر الجفوة التى نشبت بينه وبينى فلا زلت المرأة التى أحبها ذات يوم ، والمرأة التى لا زال يحبها ..

وانقلب كلامها همسا متهدجا ، وهى تضيف :

- نعم .. أن حبه لى ما كان ليفتر أو يخمد لهيبه ، لو لم يسمع عن تلك الخطابات اللعينة ، أو يحصل عليها ..

- ماذا ؟ .. هل نجح فى الحصول عليها ؟ . ولكن لا ريب أن الاخوين قد اتخذوا حذرهما ، حتى لا يتمكن من الوصول الى الاوراق ؟ ..

- نعم .. بل انهما ، فيما يبدو ، كانا يفخران بأن لديهما مخبأ أمينا ..

- حسنا ..

- ولكنى اعتقد أن زوجى قد اهتدى الى ذلك المخبأ ..

- حقا ؟ . وأين وجده ؟ .

- هنا ! ..

فأجفلت وانبعثت قائما ، وانا اكرر كلمتها : هنا ..

وأستطردت مدام اندرمات قائلة :

- نعم .. وقد كان دائما ارتاب فى وجوده .. فان لويس لاكومب ، الذى كان شديد البراعة ويهوى الاشياء المعقدة ، اعتاد ان يتسلى فى أوقات فراغه بعمل الاقفال والخزائن واعتاد ان يستخدمها فى أخفاء الخطابات وغير ذلك من الأشياء التى يريد أن يخفيها ..

فصحت قائلا :

- ولكنهما لم يسكنا فى هذا المنزل ؟ .

- لقد ظل هذا المنزل خاليا الى أن حضرت انت منذ بضعة شهور .. ومن المحتمل انهما اعتادا التردد عليه ولم ير فى وجودك ما يضايقهما عندما يرغبان فى اخذ أوراقهما من هنا .. ولكنهما غفلا عن زوجى ، الذى استطاع فى ليلة الثانى والعشرين من شهر يونيو اغتصاب الخزانة وأخذ ما كان يبحث عنه ، ثم ترك بطاقته مكانها

ليعرف الاخوان تماما ان القدر قد قلب لهما ظهر المجن ، وأنه لم يعد فى مقدورهما تهديده بعد ذلك .. وبعد يومين ، اتى اليك اتيين فاران مسرعا ، على أثر اطلاعه على مقالك فى صحيفة (جيل بلاس) ، فلما تركته فى هذه الحجرة وحيدا فتح الخزانة فوجدها خاوية .. وعندئذ اطلق على نفسه الرصاص ...

وبعد صمت يسير سألها داسبرى :

- هذا كله مجرد استنتاج وتخمين بلا ريب .. أليس كذلك ؟ .. هل قال لك مسيو اندرمات شيئا ؟

- كلا ..

- وهل تغير مسلكه حيالك ؟ . أم يبدو لك أنه غدا أكثر قلقا أو حنقا ؟ ..

- كلا .

- الا ترين انه كان خليقا بأن يبدو كذلك اذا كان قد عثر على الخطابات ؟ .. اننى من جانبى لا اعتقد البتة أنه عثر عليها .. وفى رأيى أن شخصا آخر هو الذى دخل هنا .

- ولكن من يمكن أن يكون ؟ ..

- انه الشخص الخفى الذى يحرك هذه الحوادث ويمسك بخيوطها بين يديه ، ويوجهها الى الهدف الذى يسعى اليه والذى لا نرى منه الا بصيصا ضئيلا من الضياء بين هذه الحوادث المعقدة .. انه الشخص الغامض الذى يحس الجميع قوته الخفية الرهيبة منذ البداية .. فهو الذى جاء مع اعوانه الى هنا ليلة الثانى والعشرين من شهر يونيو .. وهو الذى اكتشف المخبأ السرى ، وترك خلفه بطاقة مسيو اندرمات .. وهو الذى استولى على أوراق الاخوين فاران وعلى الرسائل التى تثبت عليهما جريمة الخيانة العظمى .

فصحت اقاطعه فى حنق وصبر نافذ :

- ولكن من هو هذا الشخص ؟ ..

- انه ذلك الذى يبعث بمقالاته الى « صوت فرنسا
بلا ريب .. سلفاتور اليس الدليل على ذلك واضحا ك
الوضوح ؟ .. الا تحوى مقالاته من التفاصيل الدقيقة مـ
يعرفه الا الرجل الذى كشف سر الاخوين ؟ ..

فترنحت مدام اندرمات ، وقالت فى هلع :

- فى هذه الحالة فانه قد استولى على خطابى بالمثل
وسوف يلجأ الى تهديد زوجى بدوره . رباه .. ماذا استط
ان أفعل الان بحق السماء ؟ ...

فقال داسبرى فى صراحة :

- اكتبى اليه .. وضعى ثقتك فيه مباشرة .. اخبر
بكل ماتعرفينه ، وكل ما يمكنك أن تعرفه .. فان مصال
متفقة .. ولا توجد ذرة من الشك فى أنه الآن انه
يعمل ضد الباقى على قيد الحياة من الاخوين .. انه يبح
عن سلاح ضد الفريد فاران ، لا ضد مسيو اندرمات فعل
أن تقدمى له كل معونة ممكنة .

- ولكن .. كيف ؟ ..

- هل لدى زوجك ذلك المستند الذى يتمم رس
اختراع لويس لاكومب ويجعلها صالحة للتنفيذ ؟ ..

- نعم ..

- أخبرى سلفاتور بذلك .. واذا احتاج الأمر فاجتهد
فى الحصول على هذا المستند من أجله .. وبالاختصا
عليك ان تتصلى به ، فليس لديك ما تخاطرين به الآن

وكانت هذه النصيحة بالغة الجرأة وقد بدت لاول و
شديدة الخطورة .. ولكن مدام اندرمات المنكودة لم يك

لديها سبيل للاختيار .. ثم أنها – كما قال داسبرى – لم تكن تخاطر بشىء البتة .. واذا كان هذا الشخص المجهول عدوا لها فان الخطوة لن تزيد مركزها سوءا عما كان عليه من قبل .. واذا كان أجنبيا يسعى وراء هدف خاص فانه لن يلق على هذه الخطابات سوى أهمية ثانوية .

ومهما يكن من أمر ، فان مدام اندرمات مع اضطرابها وتبلبل أفكارها ، رأت فى هذه الفكرة مايهدىء من روعها .. فشكرتنا فى حرارة ووعدت بأن تطلعنا على ما يتم أولا بأول .

وبعد يومين أرسلت الينا رقعة موجزة تلقتهـــا على ماكتبته الى سلفاتور . وقد جاء بها :

« الخطابات لم تكن هنا .. ولكن هدئى روعك ، فسوف احصل عليها .. وثقى اننى معنى بكل شىء » .. « س »

واذ وقـــع بصرى على هذه الرقعة عرفت فيها الخـط الذى كتبت به الرسالة التى وجدتها فى حجرتى ليلة الثانى والعشرين من يونيو ..

وهكذا كان داسبرى على حق .. وكان سلفاتور هـــو المحرك الاعظم لهذه الاحداث جميعا ..

وذات يوم حضر يحمل معولا ومجرافا ، ثم أشـــار الى الارض الفضاء المحيطة بالمنزل وقـــال : تعال معى ..

وتبعته فى غير حماسة ، وقد حملنى المجراف واحتفظ بالمعول معه .. وقسم الارض عدة اقسام راحيفحصها واحدا بعد الآخر الى ان استرعت انتباهه فى احـــد الاركان بين جدارين قديمين لاسوار المنزلين المجاورين . كومـــة من الاحجار والاتربة .. فبدا العمل ..



وظللنا نعمل ساعة كاملة على غير هدى تحت أشـــعـ الشمس المحرقة ولكننا ما كدنا نرفع الاحجار والاتربة ونبد الحفر فى الارض ذاتها حتى كشف داسبرى بمعوله عن عدد من العظام ، هى بقايا هيكل عظمى لا تزال شرائـــح من الثياب البالية عالقة به ..

وفجأة .. شعرت بالدم يجمد فى عروقى .. فقد رأيت بجوار العظام صفحة صغيرة من الحديد مستطيلة الشكل كحامل اعلانات حمراء اللون .. فانحنيت لالتقطها .. وقد صح حدسى .. فان تلك الصفحة الحديدية كانت فى حجم ورق اللعب .. أما العلامات الحمراء وكانت قلوبا سبعة فقد كانت مواضعها تماثل مواضع القلوب فى ورقة اللعب .. وكانت اطرافها السفلى جميعا مثقوبة ثقوبا صغير مستديرة فقلت لصديقى :

اصغ الى يا داسبرى .. لقد رأيت من هـــذا الامر ما يكفينى .. وربما كنت تجد فيه تسلية لك .. فاذا كان الامـــر كذلك فسوف ادعك تنعم بهذه التسلية وحدك .

وعـــدت الى منزلى مترنحا لا قـــوى على السير .. وما ان بلغته حتى أويت الى الفراش متعبا منهوكا ..

وبعد يومين تلقيت بالبريد المســـتعجل خطابا أثا فضولى على الرغم مما حدث كله .

« وكان الخطاب يحوى هذه الكلمات :

« سيدى ...

ان المسرحية التى مثل الفصل الاول منها فى ليلة الثانى والعشرين من شهر يونيو قد اقتربت خاتمتها .. ولما كانت الظروف تتطلب ان اجمع بين الشخصيتين الرئيســـيتين فيها وجها لوجه وان تتم هذه المواجهة فى منزلك ، فانى

أرجو رجاء حارا أن تتفضل فتسمح لى باستخدام منزلك هذه الليلة .. ومن الاوفق ان ترسل خادمك بعيدا عن المنزل من الساعة التاسعة الى الحادية عشر ، كما قد يكون من الاوفق أيضا ان تتكرم بترك الميدان خاليا للخصوم المنزل من الساعة التاسعة الى الحادية عشر ، كما قد احترمت جميع مقتنياتك ولم امدد اليهـا يدا .. فلك ان تطمئن على كل ما فى المنزل ..

« وانى من جانبى اعدها اهانة لك ، اذا خالجنى الشك لحظة واحدة فى كتمانك هذا السر كتمانا مطلقا .. المخلص : ستفاتور » .

وقد ابتهجت بتلك اللهجة المهذبة التى انطوى عليها هذا الخطاب . وان كانت لا تخلو من سخرية رقيقة ..

وانصرف خادمى فى الساعة الثامنة ، يذهب الى المسرح بالتذكرة التى قدمتها له .. وبعد قليل اذا بصديقى داسبرى يحضر فاطلعته على الخطاب .. وما ان أقرأه حتى نظر الى متسائلا . فقلت :

ـ حسنا .. اترك الباب الخارجى مفتوحا حتى يستطيع الدخول ..

ـ هل تنوى مغادرة المنزل ؟ .

ـ ليس فى نيتى شىء كهذا .

ـ ولكنه يرجوان ..

ـ انه يرجو ان اكون كتوما .. وسوف اكون .. ولكن الفضول ينهشنى لرؤية ما سوف يحدث .

ـ تالله انك لعلى حق .. وسوف ابقى بالمثل . وان قلبى يحدثنى بأننا لن نشعر بالملل .

وقطع عليه عبارته رنين الجرس الخارجى ، فغمغم قائلا :

أتراهم حضروا الان ؟ . قبل موعدهم بعشرين دقيقة ؟ فمضيت الى الردهة وجذبت الحبل الذى يفتح باب الحديقة .. واذا بى أرى شبح سيدة تأتى فى الممر مسرعة .. واذا هى مدام اندرمات .

وكانت تبدو شديدة الاضطراب .. قالت وهى تلهث :

ـ زوجى . انه فى طريقه الى هنا ! فهو على موعد هنا .. وسوف يعطونه الخطابات .

ـ وكيف عرفت ذلك ؟

ـ بطريق الصدفة .. فقد تلقى زوجى رسالة اثناء العشاء .

ـ اهى رسالة بالبريد المستعجل .. ؟

ـ كلا .. رسالة تليفونية .. وقد ناوليها الخادم خطأ .. واخذها زوجى فى الحال ولكن بعد أن استطعت قراءتها . فقد قال المتحدث « احضر الى شارع مالو فى الساعة التاسعة هذا المساء ، ومعك المستندات الخاصة بالمسألة التى تعرفها .. وستحصل لقاء ذلك على الخطابات » .. فما كدنا نفرغ من العشاء حتى صعدت الى حجرتى ثم أتيت الى هنا للتو ..

ـ دون أن يعلم مسيو اندرمات ؟

ـ نعم ...

فنظر داسبرى الى قائلا :

ما رأيك فى هذا .. ؟

ـ رأيى هو رأيك .. فمسيو اندرمات هو احد الخصوم الذين دعوا الى اللقاء ..

ـ ولكن من هو الذى دعاهم ؟ .. ولاى غرض .. ؟

ـ هذا ما سوف نراه بعد قليل ..

وقد عجبت لشيء واحد ، لا ريب أن زميلى فى هـذا المخبأ يشاطراننى العجب منه .. وهو لماذا لم يكن سلفاتور حاضرا ؟ .. ألم يكن من خطته ان يتدخل بشخصه ؟ .. هل رأى فى اجتماع المالى وفاران كل الكفاية ؟ .. وقد احسست بشعور عجيب من عدم الارتياح ، فان غياب سلفاتور عن هذه المبارزة التى كان ينشدها ويسعى اليها سوف يجعلها تنقلب الى حادث مروع تتصرف فيه يد القدر وحدها ..

وبعد لحظة اتجه مسيو اندرمات نحو فاران وراح يتفرس فى عينيه وهو يقف فى مواجهته ثم قال ..

– الآن وقد مضت الاعوام ولم يعد لديك ما تخشـاه فانى أود أن تجيبنى بصراحة يا فاران .. ما الذى فعلته بلويس لاكومب ؟

– يا له من سؤال .. كأننى أعرف اين هو .. !

– نعم .. انك تعرف ذلك حق المعرفة .. فقد كنت واخوك تقتفيان اثره خطوة فخطوة ... بل لقد كدتما تعيشان معه فى هذا المنزل نفسه حيث نقف الان كنتما تعرفان كل شيء عن عمله وكل صغيرة أو كبيرة من خططه ومشـروعاته . وفى تلك الليلة المشهودة عندما صحبت لويس لاكومب الى باب منزلى مودعا لمحت شبحين يتواريان فى الظلام ، وفى وسعى ان اقسم على ذلك وعلى انهما ليسا سواك وسوى أخيك ..

– عليك أن تثبت ذلك ..

– ان خير دليل هو انك نفسـك بعد يومين من ذلك اطلعتنى على الرسوم والاوراق التى وجدتها فى حافظة لويس لاكومب وعرضت على أن تبيعنى اياهـا .. فكيف وصلت هذه الاوراق الى يدك ؟ .

– لقد سبق لى أن اخبرتك مرارا يا مسيو اندرمات اننا وجدناها فوق مائدة لويس لاكومب فى صباح اليوم التالى، بعد اختفائه ..

– هذا كذب ..

– عليك ان تثبت كذبه ..

– سوف يتولى البوليس اثباته ..

– لو انه كانت لديك أقل ذرة من اليقين لما توانيت عن ابلاغ البوليس ضدنا ولما حال دون ذلك تهديدنا الصغير .

– أى تهديد ؟ .. تلك الخطابات ؟ .. هل تتصور اننى صدقت لحظة واحدة ..

– اذا لم تكن قد صدقت وجود هذه الخطابات فلمـاذا عرضت على أن اطلب مبلغ من المال نظير تسليمها اليك ؟ ثم لماذا رحت بعد ذلك تطاردنى واخى بواسطة مخبريك كأننا من الوحوش الضارية ؟ ..

– كذلك لكى استعيد الرسوم التى كنت اريدها .

– هراء .. انك تريد الخطابات .. كنت تريد ان تضع يدك عليها ومن ثم تغدو حرا فى الابلاغ ضدنا ، والايقاع بنا .. ولكنك لن تنال غرضك هذا قط .

فقال المالى فى انفعال :

– والآن وقد تحدثت عن الخطابات ، فانك لن تبرح هذا المكان قبل ان تسلمها لى ..

– أسمع يا مسيو أندرمات .. انى أنصح لك بأن ..

– لن تخرج من هنا ..

– سوف ترى ..

قال فاران هاتين الكلمتين فى غضب شديد هلعت له نفس مدام اندرمات وأسرعت تغطى فمها لتكتم صيحة الذعر التى كادت تفلت منها .. ولا ريب أن فاران سمع هـذا

الصوت الخافت اذ نظر صوبنا وأسرع نحو الباب يهم بالفرار ..

غير أن مسيو اندرمات اعترض سبيله ودفعه الى داخل الحجرة دفعة شديدة ، وعندئذ رأيت الرجل يدس يده فى جيبه الخارجى ، وهو يقول :

ـ اننى انذرك لاخر مرة .. ـ الخطابات أولا ..

فأخرج فاران مسدسه وصوبه نحوه قائلا أم لا ؟ ..

وفى الحال أسرع المالى ينحنى الى الارض ..

وانبعث طلق نارى .. وعلى أثره سقط المسدس من يد الرجل . وأصم الدوى مسمعى .. فقد اطلقت الرصاصة من جانبى . وكان داسبرى هو الذى اسقط المسدس من يد الفريد فاران ..

وفى اللحظة التالية رأيته يقف بين الخصمين مواجها فاران وهو يقول :

ـ أنك رجل محظوظ يا صديقى ! .. فقد صوبت الرصاصة نحو يدك ولكنها أصابت المسدس .

وكان الرجلان يحدقان النظر فيه فى دهشة وهما لا يحيران حراكا .. فاستطرد داسبرى يقول للمالى :

ـ معذرة يا سيدى عن تدخلى فيما لا يعنينى .. ولكنك فى الواقع لا تحسن اللعب بالاوراق التى فى يدك ، فدعنى أتولى عنك ذلك ..

ثم تحول الاخر قائلا :

ـ والآن يا بنى ! .. يمكنك أن تستأنف اللعب معى .. أن أوراقى من نوع الكوبا .. وهاك السبعة الرابحة ! .

ثم رفع الصفحة الحديدية ذات القلوب السبعة الحمراء ، فوضعها تحت أنف الفريد فاران فجأة .

وقد شحب وجه فاران شحوبا شديدا ثم تراجع الى الخلف مترنحا وهو يغمغم بصوت متحشرج :

ـ من أنت ؟ ..

ـ لقد قلت منذ لحظة اننى رجل أحب التدخل فيما يعنينى .. ولكننى أتدخل فى ذلك الى أبعد الحدود ..

ـ وما الذى تريده ..

ـ أريد كل ما أحضرته معك .

ـ ولكننى لم أحضر معى شيئا ..

ـ بل لقد أحضرت كل شىء ، والا لما حضرت قط ، لق تلقيت هذا الصباح رسالة تدعوك الى الحضور الى هنا ف الساعة التاسعة مساء ومعك جميع الاوراق التى لديك فأي هى ؟ ..

وكان فى صوت جان داسبرى ومسلكه ما أثار دهشت وذهولى . فان الصرامة فيه من البساطة والوداعة وف ذعر طاغ ، أشار فاران الى جيبه قائلا .

ـ أن الاوراق موجودة هنا ! ..

ـ كلها ؟ .. ـ نعم ..

ـ كل الاوراق التى وجدتها بحافظة لويس لاكومب وبعت للماجور فون ليبين ؟ ..

ـ نعم ..

ـ هل هى الاوراق الاصلية أم صور منها ؟ ..

ـ الاصلية .. ـ وكم تريد ثمنا لها ؟ ..

ـ مائة فرنك ..

فانفجر داسبرى قائلا :

ـ هل جننت ؟ .. لقد دفع لك الماجور الالمانى عشر الفا .. عشرين الفا من الفرنكات ذهبت هباء بعد أن فشل تجارب الاختراع ..

- أنهم لم يعرفوا كيف يستخدمون الرسم ..

- بل لقد كانت الرسوم ناقصة ..

- ولماذا تطلبها منى اذن ؟ ..

- لاننى أريدها .. وسوف اعطيك خمسة الاف فرنك لا تزيد شيئا ..

- بل عشرة الاف لا تنقص شيئا ..

- حسنا .. اتفقنا ..

والتفت داسبرى نحو مسيو اندرمات قائلا :

- هل لك أن توقع شيكا بالمبلغ يا سيدى .. ؟

- ولكن .. ليس معى ...

- دفتر الشيكات الخاص بك ؟ .. هاك هو ..

فتناول مسيو اندرمات دفتر الشيكات بيد مرتعدة وهو يحدج النظر الى داسبرى كأنه يرى شبحا من الاشباح ، بينما راح يتمتم :

- أنه دفترى حقا .. ولكن كيف ؟ .. .

- يا سيدى العزيز .. لا تضيع الوقت هباء فى هذه الاعتبارات الثانوية .. وما عليك الا أن توقع الشيك .

فأخرج المالى قلمه وملأ الشيك ووقعه .. وعندئذ مد فاران يده ليتناوله ، ولكن داسبرى اعترضه قائلا ، وهو يدس الشيك فى جيبه :

- مهلا يا بنى .. أننا لم نفرغ بعد ..

ثم قال للمالى : لقد سمعتك تذكر شيئاً عن خطابات تطالب بها ..

- نعم .. حزمة من الخطابات الخاصة ..

- أين هى يا فاران ؟ .. - أنها ليست عندى ..

- قلت لك أين هى ؟ ..

- لست أدرى .. فان أخى هو الذى كان يحتفظ بها ..

- أنها مخبأة هنا .. فى هذه الحجرة ..

- ومن أين لى أن أعرف ؟ .

- لست أنت الذى اكتشفت المخبأ السرى ؟ .. أنك تبدو عليما ببواطن الامور مثل .. سلفاتور .

ولكن الخطابات ليست فى المخبأ السرى .

- أنها هناك .. - أفتحه اذن ..

فلاحت فى وجه فاران لمحة من الشك .. ترى هل داسبرى وسلفاتور شخص واحد كما توحى جميع الظواهر ؟ .. اذا كان الامر كذلك فانه لا يجازف بالكشف عن المخبأ السرى ما دام هذا الرجل يعرفه .. لكن اذا ..

وعاد داسبرى يردد فى صرامة : - افتحه اذن .

- وليس معى « سبعة الكوبا » ..

- بل .. هناك واحدة ..

وقدم اليه الصفحة الحديدية .. ولكن فاران تراجع الى الخلف مذعورا وهو يصيح :

- كلا .. كلا .. اننى لن أمسها .

حسنا .. كما تشاء ..

مضى داسبرى نحو تمثال الامبراطور ، وصعد فوق المقعد ثم وضع الصفحة الحديدية فوق نصل السيف ملاصقا للمقبض تماما بحيث طابقت اطرافها حواف النصل ، وراح يضغط بمسمار صغير خلال الثقوب السبعة فوق الرؤوس الدقيقة الناتئة فى الرخام .. وما أن ضغط الثقب السابع حتى سمعنا صوت قفل معدنى ينفتح ، واذا بصدر الامبراطور يدور حول نفسه كاشفا عن فضاء مجوف خلفه مبطن بالصلب كالخزائن الحديدية ويحوى رفين من المعدن اللامع .. ثم قال داسبرى :

- أرأيت يا فاران ؟ .. ان الخزانة خالية ..

– تماما .. ولا ريب أن أخى قد أخذ الخطابات منها ..

فسار داسبرى نحوه وهو يقول :

– لا تحاول التغرير بى .. هناك مخبأ سرى اخر .. فأين هو .. – لا يوجد شىء كذلك ..

– لعلك تطمع فى المزيد من النقود .. فكم تريد ؟ ..

– عشرة آلاف فرنك ..

– هل تساوى هذه الخطابات عشرة الاف فرنك فى نظرك يا مسيو اندرمان ؟ ..

فقال المالى فى صوت ثابت : نعم ..

وعندئذ أغلق فاران الخزانة ، وأخذ سبعة الكوبا الحديدية فى نفور واضح ، ثم وضعها فى النصل فى الموضع نفسه. وراح يضغط بالمسمار خلال الثقوب على التوالى وسمعنا الصليل المعدنى من جديد ، ولكنا لم نكن نتوقع ما رأيناه هذه المرة .. فقد تحرك جزء صغير فقط من الخزانة كاشفا عن خزانة صغيرة أخرى تقع فى فراغ الباب السميك للخزانة الكبرى .

وكانت الخطابات موضوعة بداخلها وقد ربطت بشريط وختمت بالشمع الأحمر ، فقدمها فاران الى داسبرى الذى قال :

– وهل أحضرت المستند الذى تركه عندك لويس لاكومب والذى يتمم تصميم الغواصة ؟ ..

– نعم ..

– هل أعددت الشيك يا مسيو أندرمات ؟ ..

– نعم ..

وسرعان ما تم تبادل الاوراق فدس داسبرى الشيك الثانى والمستند فى جيبه ، ثم قدم حزمة الخطابات الى مسيو

اندرمات قائلا : – هاك ما كنت تريده ياسيدى ..

فتردد المالى كأنما ينفر من لمس هذه الصفحات المشئومة التى كان يتلهف على الحصول عليها .. وأخيرا تناولها فى نفور واشمئزاز ..

وعندئذ سمعت بجانبى تنهدا عميقا خافتا .. فلما أمسكت بيد مدام أندرمات ألقيتها باردة كالجليد ..

وقال داسبرى للمالى : أحسب يا .. سيدى أن حديثنا قد انتهى . كلا . أرجوك الا تشكرنى . فالصدمة وحدها هى التى أتاحت لى أن أسدى اليك هذه الخدمة .

فانصرف اندرمات يحمل معه خطابات زوجته الغرامية الى لويس لاكومب .. وصاح داسبرى فى جذل بعد خروجه: عظيم ! .. لقد سار كل شىء على ما يرام .. ولم يبق الا أن نتفق على ما يهمنا يا بنى .. أين الاوراق ؟ ..

– انها كلها هنا .. خذها ..

فأخذها داسبرى وراح يفحصها فى امعان ، وما لبث أن وضعها فى جيبه وهو يقول :

– حسنا .. لقد وفيت بوعدك يا صديقى .

– ولكن ؟ .. – لكن ماذا ..

– النقود ؟ .. الشيكات ؟ ..

– يا لك من مخلوق عجيب ! .. هل تجرؤ على المطالبة بشىء ؟ ..

– اننى أطالب بما يخصنى ..

– هل تعنى أنك تستحق شيئا مقابل الاوراق التى سرقتها ؟ ..

رج الرجل عن طوره وراح يهتز من فرط الغضب وقد
ت عيناه بالدماء وهو يصيح :
عطنى نقودى .. العشرين الف فرنك ..
انها خارجة عن موضوعنا .. فقد أخذتها لنفسى ..
قودى .. نقودى ..
هدأ يا بنى وكن أكثر تعقلا .. ثم دع هذا الخنجر
ك ..
رع يقبض على ذراعه فى عنف بالغ جعل الرجل يزار
لم ، ثم استطرد قائلا :
نصرف يا بنى وسوف يفيدك الهواء الطلق فى الخارج
أم تراك تحب أن أصحبك حتى الباب مودعا ؟ ..
أسير معك فى الارض الفضاء المجاورة لهذا المنزل
بلغ ركنا معينا به كومة من الاحجار والاتربة ، حتى
نتها وجدتها تحتها ..
لا .. كلا .. هذا كذب .
ل صحيح كل الصحة .. فقد أحضرت تلك الصفحة
ة ذات الثقوب السبعة من هناك .. ولعلك تذكر أن
لاكامب كان يحملها معه دائما .. وقد تركتماها ..
خوك ، مع جثته عندما دفنتماها هناك .. كما تركتما
خرى قد يهتم بها رجال البوليس كثيرا ..
ى فاران عينيه بيديه المرتعدين ، وغمغم يقول :
حسنا لقد غلبت على أمرى .. فلنكف عن هـذا
.. ولكن لى كلمة واحدة ، كلمة واحدة فقط ..
د أن أعرف ..
ا الذى تود أن تعرفه ؟ ..
د كان فى هذه الخزانة صندوق من الصلب .. فى

الخزانة الكبرى .. فهل وجدته عندما حضرت الى هنـــا
لليلة الثنى والعشرين من شهر يونيو ؟ ..
ـ نعـم ..
ـ وماذا كان به ؟ ..
ـ كل ما وضعه الاخوان فاران فيه .. مجموعة طيبة
من المجوهرات والماسات واللآلىء التى جمعها الاخوان
طوال حياة اللصوصية التى كانا يعيشانها ..
ـ وهل أخذتها لنفسك ؟ ..
ـ يا الهى ! ما الذى كنت تفعله لو انك كنت مكانى ؟.
ـ اذن فقد كان اكتشاف ضياع الصندوق هو الذى دفع
أخى الى الانتحار ؟ ..
ـ ربما .. فان اختفاء مراسلاتكما مع الماجور فون ايبين
ما كان ليدفعه الى قتل نفسه .. ولكن صندوق المجوهرات
شىء آخر . هل هذا كل ماتريد معرفته ؟ ..
ـ بل هناك شىء آخر .. من أنت ..
ـ انك تقول ذلك كما لو كنت تفكر فى الانتقام ؟ ..
ـ تماما .. فالدهر قلاب .. واذا كان الحظ حليفك
اليوم فهو غـدا ..
ـ قد يكون حليفك أنت ؟ ..
ـ أرجو ذلك .. والآن ما اسمك ؟ ..
ـ أرسين لوبين ..
ـ أرسين لوبين ؟!
وارتد الرجل فجأة الى الخلف كانما أصابته لطمة عنيفة
على ناصية .. فقد اطاحت هاتان الكلمتان بآماله وأمانيه
.. وقهقهة داسبرى ضاحكا وهو يقول :
ـ آه ! .. هل كنت تحسب أن شخصا عاديا هو الذى
دبر هذه الخطة البارعة ؟ كلا يا صديقى .. ما كان أحد

ستطيع أداء ذلك الا أن يكون أرسين لوبين على الاقل،
لآن وقد عرفت كل ما تود معرفته فاذهب وأعد عدتك
نتقام .. وسوف تجد أرسين لوبين فى انتظارك .
ثم دفع المنكود الى خارج الحجرة دون أن يضيف الى
ك حرفا واحدا ..
جـذبت الستار فجأة وصحت أهتف بـه ، بالاسم الذى
رفته به :
ـ داسبرى . داسبرى ..
فأسرع نحوى قائلا : ماذا هناك ؟ .. ما الخبر ؟ ..
ـ مدام أندرمات .. لقد أغمى عليها .
خف الى جوارها وادنى من أنفها زجاجة صغيرة من
لاح المنعشة وهو يسألنى :
ـ ولكن ماذا أصابها ؟ .. ماذا حدث ؟ ..
ـ الخطابات .. الخطابات التى أعطيتها لزوجها ..
ضرب بكفه على جبينه وهو يصيح :
ـ ماذا ؟ .. هل صدقت شيئا من ذلك ؟ .. ولكن من
لها أن تعرف ؟ .. يالى من غبى ؟ ..
كانت مدام اندرمات قد أفاقت وراحت تصغى اليه فى
. فأخرج من جيبه حزمة صغيرة تماثل فى كل شىء
التى أخذها مسيو اندرمات معه ، وقال :
ا هى خطاباتك يا سيدتى .. الخطابات الحقيقية ..
ولكن .. الاخرى ؟ ..
ها تماثل هذه .. ولكنى أعدت كتابتها ليلة أمس بعد
دلت عباراتها فى حرص ودقة .. ولسوف يسر زوجك
لا يجد فيها ما يمس كبرياءه وشرفه .. ولن يخطر بباله
أنها قد استبدلت بعد أن تم كل شىء أمـامه وتحت
..

وكانت مدام أندرمات مشدوهة لا تقوى على النطق ،
لكنها غمغمت : والخط ؟ .. سوف لا يجدها بخطى .
ليس هناك خط لا يمكن تقليده يا سيدتى .
فراحت تشكره فى حرارة ، وبعبارات تشف عن تقديرها
لجميل صنيعه . كما لو كانت تخاطب رجلا من طبقتهـا ..
فادركت أنها لم تسمع ما دار من حديث بين فاران ..
وارسين لوبين ..
اما أنا فقد جعلت أنظر اليه فى حيرة عظيمة ، ولم أدر
ما أقوله لذلك الصديق القديم الذى كشف لى عن حقيقته
فجاة وبصورة لم أكن أتوقعها البتة .. لوبين ! .. أنه
أرسين لوبين .. صديقى وزميلى القديم فى النادى ، لم
يكن سوى أرسين لوبين ! .. اننى لا أكاد أصدق ذلك البتة! .
وتملكتنى نزعة لا تقاوم من الفضـول .. فأخذته بعيدا
عن مدام اندرمات وسألته :
ـ ولكن ماذا كان هدفك من كل هذا البحث والتنقيب
فقاطعنى : ليغفر الله لك يا بنى .. هل يهمك هـذا
الامر كثيرا ؟
ـ أنه يهمنى الى حد الجنون ..
ـ حسنا .. دعنى أولا أرافق مدام اندرمات الى منزلها ،
ثم أبعث رسولا الى صحيفة (صوت فرنسا) برسالة قصيرة .
وسوف أعود اليك بعد ذلك لا حدثك بكل التفاصيل ..
ولـما أطلعنى على تلك الرسالة بعد أن كتبها .
وهكذا كانت أول معرفتى بارسين لوبين .. وهكـذا
أيضا كانت أول معرفتى بان جان داسبرى صدقى الحميم
ورفيقى فى النادى وفى المجتمع ، لم يكن غير أرسين لوبين
اللص الظريف ..

ستطيع أداء ذلك الا أن يكون أرسين لوبين على الاقل.
لآن وقد عرفت كل ما تود معرفته فاذهب وأعد عدتك
نتقام .. وسوف تجد أرسين لوبين فى انتظارك .
ثم دفع المنكود الى خارج الحجرة دون أن يضيف الى
ك حرفا واحدا ..
جـذبت الستار فجأة وصحت أهتف بـه ، بالاسم الذى
رفته به :
ـ داسبرى . داسبرى ..
فأسرع نحوى قائلا : ماذا هناك ؟ .. ما الخبر ؟ ..
ـ مدام أندرمات .. لقد أغمى عليها .
فخف الى جوارها وادنى من أنفها زجاجة صغيرة من
لاح المنعشة وهو يسألنى :
ـ ولكن ماذا أصابها ؟ .. ماذا حدث ؟ ..
ـ الخطابات .. الخطابات التى أعطيتها لزوجها ..
ضرب بكفه على جبينه وهو يصيح :
ـ ماذا ؟ .. هل صدقت شيئا من ذلك ؟ .. ولكن من
لها أن تعرف ؟ .. يالى من غبى ؟ ..
كانت مدام اندرمات قد أفاقت وراحت تصغى اليه فى
. فأخرج من جيبه حزمة صغيرة تماثل فى كل شىء
التى أخذها مسيو اندرمات معه ، وقال :
ا هى خطاباتك يا سيدتى .. الخطابات الحقيقية ..
ولكن .. الاخرى ؟ ..
ها تماثل هذه .. ولكنى أعدت كتابتها ليلة أمس، بعد
دلت عباراتها فى حرص ودقة .. ولسوف يسر زوجك
ا لا يجد فيها ما يمس كبرياءه وشرفه .. ولن يخطر بباله
أنها قد استبدلت بعد أن تم كل شىء أمـامه وتحت
..

وكانت مدام أندرمات مشدوهة لا تقوى على النطق ،
لكنها غمغمت : والخط ؟ .. سوف لا يجدها بخطى .
ليس هناك خط لا يمكن تقليده يا سيدتى .
فراحت تشكره فى حرارة ، وبعبارات تشف عن تقديرها
لجميل صنيعه . كما لو كانت تخاطب رجلا من طبقتهـا ..
فادركت أنها لم تسمع ما دار من حديث بين فاران ..
وارسين لوبين ..
اما أنا فقد جعلت أنظر اليه فى حيرة عظيمة ، ولم أدر
ما أقوله لذلك الصديق القديم الذى كشف لى عن حقيقته
فجاة وبصورة لم أكن أتوقعها البتة .. لوبين ! .. أنه
أرسين لوبين .. صديقى وزميلى القديم فى النادى ، لم
يكن سوى أرسين لوبين ! .. اننى لا أكاد أصدق ذلك البتة! .
وتملكتنى نزعة لا تقاوم من الفضـول .. فأخذته بعيدا
عن مدام اندرمات وسألته :
ـ ولكن ماذا كان هدفك من كل هذا البحث والتنقيب
فقاطعنى : ليغفر الله لك يا بنى .. هل يهمك هـذا
الامر كثيرا ؟
ـ أنه يهمنى الى حد الجنون ..
ـ حسنا .. دعنى أولا أرافق مدام اندرمات الى منزلها ،
ثم أبعث رسولا الى صحيفة (صوت فرنسا) برسالة قصيرة .
وسوف أعود اليك بعد ذلك لا حدثك بكل التفاصيل ..
ولـما أطلعنى على تلك الرسالة بعد أن كتبها .
وهكذا كانت أول معرفتى بارسين لوبين .. وهكـذا
أيضا كانت أول معرفتى بان جان داسبرى صدقى الحميم
ورفيقى فى النادى وفى المجتمع ، لم يكن غير أرسين لوبين
اللص الظريف ..

اذن فالانباء القائلة بأن أرسين لوبين قد جاء الى هذه المنطقة صحيحة لا ريب فيها ؟ .

أستطرد جورج ديفان :

– أن أرسين لوبين وعصابته ليسوا بعيدين من هنا .. وقد ثبت أنه مدبر حوادث السطو التى وقعت على قصور مونتيني وبروشيه وكرازفيل .. وكاهورن وأعتقد أنه جاء دور قصر (تيبر مسنل) ..

فصاح أحد المودعين : وهل جاءك انذار من لوبين كالانذار الذى تسلمه البارون كاهورن ؟

كلا .. أن أرسين لوبين من الذكاء بحيث يعلم أن الخدعة الواحدة لا تنجح مرتين ..

– اذن كيف ...

– اصغوا الى ..

ونهض واقفا .. وأشار الى مكان خال بين صفوف الكتب فى الدولاب وقال :

– كان يوجد هنا كتاب يرجع تاريخه الى القرن السادس عشر وعنوان هذا الكتاب (تاريخ قلعة تيبر مستل) . يتضمن تاريخ هذا القصر منذ شيده الدوق دى رولو ويحتوى على ثلاث خرائط . احدها تمثل المنظر العام للقصر .. والثانية تبين رسومه . وتخطيطه . ومواقع غرفة ودهاليزه والثالثة وهى الاهم . تمثل الاقبية السراديب التى تبدا خارج القصر وتنتهى الى هذه الغرفة التى تقف فيها الآن.

هذا الكتاب الثمين اختفى فجأة فى الشهر الماضى فقال فلمون :

هذا مزعج حقا .. ولكنه لا يبرر الاستعانة ببوليس سرى كبير مثل شرلوك هولمز .

فقال جورج ديفان :

– نعم .. اننى ما كنت اهتم بضياع الكتاب كل هـذا الاهتمام لو لم يقع حادث آخر له دلالته ومغزاه .. ذلك انه كان يوجد كتاب آخر مماثل فى دار الكتب الاهلية .. وبين الكتابين بعض خلاف فى التفاصيل الخاصة بالاقبيـة والسراديب .. وبعض رسوم تفصيلية وبيانات من الابعاد والنسب مكتوبة بالمداد على هوامش الصفحات .. وقد ادرك القدم بعضها فزالت بعض الكلمات والارقام ..

هذه الحقائق كنت أعرفها .. وأعرف فضلا عن ذلك انه لا يمكن الاهتداء الى مسالك الاقبية والسراديب الا بالاستعانة بالبيانات الموضحة عن هوامش الكتابين معا .. والخرائط الموجودة بهما .

ففى اليوم الذى اختفى فيه كتابى . ذهب بعضهم الى دار الكتب الاهلية واستعار النسخة الاخرى من الكتاب . واخذها وانصرف بها دون ان يشعر به أحد ودون ان يتمكن المسئولون من معرفة الطريقة التى خرج بها الرجل ومعه الكتاب . وقد اهتم البوليس بالامر .. وقـام بتحقيقين مختلفين ولكنهما لم يسفرا عن نتيجة .

– كما يحدث دائما فى التحقيقات المتصلة بارسـين لوبين ..

– تماما .. وهكذا خطر لى ان اتصل بشرلوك هولمز .. وكتبت اليه . فكان جوابه .. انه ليس ثمة ما يسـعده ويسره مثل التعرف بارسين لوبين .

فصاح فيلمون :

– يا له من شرف عظيم للوبين .. ولكن اذا لم يكن فى نية لوبين السطو على هذا القصر حقا .. فان شرلوك هولمز لن يجد ما يفعله هنا .

اذن فالانباء القائلة بان أرسين لوبين قد جاء الى هذه المنطقة صحيحة لا ريب فيها ؟ .

استطرد جورج ديفان :

ـ ان أرسين لوبين وعصابته ليسوا بعيدين من هنا .. وقد ثبت انه مدبر حوادث السطو التى وقعت على قصور مونتينى وبروشيه وكرازفيل .. وكاهورن واعتقد انه جاء دور قصر (تيبر مستل) ..

فصاح أحد المودعين : وهل جاءك انذار من لوبين كالانذار الذى تسلمه البارون كاهورن ؟

كلا .. ان أرسين لوبين من الذكاء بحيث يعلم ان الخدعة الواحدة لا تنجح مرتين ..

ـ اذن كيف .. .

ـ اصغوا الى ..

ونهض واقفا .. واشار الى مكان خال بين صفوف الكتب فى الدولاب وقال :

ـ كان يوجد هنا كتاب يرجع تاريخه الى القرن السادس عشر وعنوان هذا الكتاب (تاريخ قلعة تيبر مستل) ، يتضمن تاريخ هذا القصر منذ شيده الدوق دى رولو ويحتوى على ثلاث خرائط . احدها تمثل المنظر العام للقصر .. والثانية تبين رسومه . وتخطيطه . ومواقع غرفة ودهاليزه والثالثة وهى الاهم . تمثل الاقبية السراديب التى تبدأ خارج القصر وتنتهى الى هذه الغرفة التى تقف فيها الآن .

هذا الكتاب الثمين اختفى فجاة فى الشهر الماضى فقال فلمون :

هذا مزعج حقا .. ولكنه لا يبرر الاستعانة ببوليس سرى كبير مثل شرلوك هولمز .

فقال جورج ديفان :

ـ نعم .. اننى ما كنت اهتم بضياع الكتاب كل هـذا الاهتمام لو لم يقع حادث آخر له دلالته ومغزاه .. ذلك انه كان يوجد كتاب آخر مماثل فى دار الكتب الاهلية .. وبين الكتابين بعض خلاف فى التفاصيل الخاصة بالاقبية والسراديب .. وبعض رسوم تفصيلية وبيانات من الابعاد والنسب مكتوبة بالمداد على هوامش الصفحات .. وقد ادرك القدم بعضها فزالت بعض الكلمات والارقام ..

هذه الحقائق كنت أعرفها .. واعرف فضلا عن ذلك انه لا يمكن الاهتداء الى مسالك الاقبية والسراديب الا بالاستعانة بالبيانات الموضحة عن هوامش الكتابين معا .. والخرائط الموجودة بهما .

ففى اليوم الذى اختفى فيه كتابى . ذهب بعضهم الى دار الكتب الاهلية واستعار النسخة الاخرى من الكتاب . واخذها وانصرف بها دون ان يشعر به احد ودون ان يتمكن المسئولون من معرفة الطريقة التى خرج بها الرجل ومعه الكتاب . وقد اهتم البوليس بالامر .. وقام بتحقيقين مختلفين ولكنهما لم يسفرا عن نتيجة .

ـ كما يحدث دائما فى التحقيقات المتصلة بارسين لوبين ..

ـ تماما .. وهكذا خطر لى ان اتصل بشرلوك هولمز .. وكتبت اليه . فكان جوابه .. انه ليس ثمة ما يسعده ويسره مثل التعرف بارسين لوبين .

فصاح فيلمون :

ـ يا له من شرف عظيم للوبين .. ولكن اذا لم يكن فى نية لوبين السطو على هذا القصر حقا .. فان شرلوك هولمز لن يجد ما يفعله هنا .

بل يوجد شيء آخر جديد بأن يثير اهتمـــام هولمز
وهو اكتشاف المسالك والأقبية الخفية التى توصـــل الى
القصر .

— الم تقل بنفسك أن هذه المسالك والسراديب تبدأ من
الحقول الخارجية وتنتهى فى هذه الغرفة .

فقال الاب جيلانس :

— لا تنس يا مسيو ديفان المعادلتين الجبريتين وعلاقتهما
.. ولكنى اعتقد ان الحلول التى يشير اليها انما تزيد الامر
تعقيدا ..

ان قراءته الكثيرة دلته على ان اثنين من ملوك فرنسا
كانوا يعرفون سر هذا السرداب ..

— اثنان من ملوك فرنسا ؟

— نعم .. هما هنرى الرابع ، ولويس السادس عشر ..

— وكيف اكتشف القس فى هذه الحقيقة ؟ فأجاب ديفان :

— المسألة متناهية فى البساطة . لقد حدث قبل يومين
من معركة (آرك) ان جاء هنرى الرابع الى هذه القلعة
ليتناول فيها عشاءه ، ويقضى بها ليلته ، وبهذه المناسبة باح
له الدوق ادجار بالسر العائلى .

وفيما بعد .. باح هنرى الرابع بهذا السر الكبير ووزراله
المدعو (سولى) ، وسرد سولى هذه القصة فى كتابه المشهور
عن اقتصاديات الدولة الفرنسية ، ولم يعقب عليها الا بعبارة
غير مفهومة قال فيها (والفاس يدور فى الفضاء امام الجناح
فيبسط حتى يصل الانسان الى السماء) .

وساد بين المدعوين صمت عميق ، وراح كل منهم يفكر
فى معنى هذه العبارة العجيبة ، واخيرا قال فيلمون :

— وما دور لويس السادس عشر فى الموضوع .

— أن لويس السادس عشر اقام فى هـــذا القصر فى
ة ١٧٨٤ وقد وجدت فى احدى خزائن قصر اللوفر ورقة
ط (جامين) صانع الاقفال المشهور . وقد جاء فيها
٢ — ٦ — ٨ لتيير مسنيل) .

فضحك فيلمون بصوت مرتفع وصاح :

— ان المسألة واضحة كل الوضوح . اذا أضفنا رقم ٢
ى رقم ٦ كان المجموع ٨ .

فقال القس :

— اضحك كما تشاء يا سيدى .. اننى اعتقد ان هـــذه
الارقام هى مفتاح السر . وسوف يأتى فى احد الايام من
يعرف كيف يفسرها . فقال ديفان :

— سوف يفسرها شرلوك هولمز قبل اى انسان آخـــر ..
مالم يسبقه ارسين لوبين الى ذلك .. فما قولك يا فيلمون ؟

فنهض فيلمون واقفا .. والقى بيده على كتف ديفان
وقال له :

— ان البيانات التى فى الكتاب .. والرســوم التى فى
النسخة التى سرقت من دار الكتب الاهلية . كان ينقصها
نقطة على جانب عظيم من الاهمية . وكنت انت من الكرم
بحيث اوضحت لى هذه النقطة .. فانا شاكر لك من كل
قلبى .

— واذن ..

فقال فيلمون مداعبا :

— اذن ما دامت الفـــاس تدور والطير يطير . رقم ٢
بالاضافة الى رقم ٦ ينتجان رقم ٨ .. فكل ما يبقى هو ان
نشرع فى العمل ..

— دون أن تضيع دقيقة .

– دون ان اضيع ثانية واحدة .. ويجب أن استطوعن قصرك هذه الليلة .. أى قبل قدوم شرلوك هولمز .

– الحق معك .. فالوقت ضيق .. هل تريد ان اوصلك بسيارتى ؟ ..

– الى دييب ؟ ..

– نعم .. اذ يجب أن اذهب اليها على كل حال لاستقبال مسيو داندرول وزوجته .. وفتـــاة من اقاربهما . فانهم سيحضرون بقطار نصف الليل . ثم تحـــول الى الضباط وقال :

– سنجتمع كلنا هنا غدا لنتناول طعام الغداء معا .. اليس كذلك ايها السادة ؟ .. انني اعتمد عليكم . فان القصر وفقا لخطة المناورات العسكرية التى تقومون بها – سيحاصره جنودكم ويقتحمونه فى الساعة الحادية عشرة صباحا .

ووافق الضباط واستأذنوا فى الانصراف وبعد بضع دقائق كانت السيارة تنطلق فى الطريق الى دييب وبها ديفان وفيلمون .

وترك ديفان الفنان أمام الكازينو . وقصد الى محطة السكة الحديد حيث استقبل اصدقاءه . ا

وفى الساعة الثانية عشرة والنصف مرت السيارة بباب قصر تير مسنيل .

وحول الساعة الواحدة صباحا . تناول الجميع طعاما خفيفا ثم قصدوا الى مخادعهم . واطفئت المصابيح الواحد تلو الآخر . وساد القصر صمت عميق ..

ولكن القمر كان يتلألأ فى السماء الصافية . واشـــعته الهادئة الساطعة تنفذ من خلال النوافذ . وتضىء صـــالة القصر .

وما لبث القمر ان توارى خلف احد التلال . فســـاد الظلام .

ودقت الساعة الثانية ثم الثالثة . وفجاة .. حدث صوت شبيه بسقوط الاشارة الحديدية التى تعلن مرور احـــدى القاطرات وانبعث فى الصالة ضوء اخترقها من جانب الى آخر ..

ومر الضوء على الجدران واحد تلو الآخر .. ثم انطفأ .. واضىء مرة اخرى .. سقط على دولاب الكتـــب فاذا الدولاب يتحرك ويكشف عن ثغرة واسعة .

وخرج رجل من هذه الثغرة وبيده مصباح كهربائى . ثم تبعه ثان .. وثالث .. وكان الاخير يحمل حبلا . وطائفة من الادوات ..

واجال الرجل الطرف حوله وانصت ثم قال :

– ادع الزملاء .. واقبل ثمانية من الزملاء .. جـــاءوا جميعا من السرداب . وخرجوا من الثغرة ..

اثر ذلك بدأت عملية نقل محتويات الغرفة .

وكان لوبين يمر بكل قطعة من الاثاث ويفحصها بعين خبير .. ويصدر اوامره بشانها .

واخذت قطع التحف والاثاث تمـــر من الثغـــرة الى السرداب المظلم حيث تتوارى فى جوف الارض .

وهكذا اختفت المقاعد التى يرجع تاريخها الى عهـــد لويس الخامس عشر واختفت السجـــاجير والطنـــافس والشمعدانات الثمينة . والصور الفنية الرائعة ..

وما هى الا دقائق حتى اصبحت القاعة خالية خاوية .

وقد تم كل شىء فى هدوء وصمت وبنظام تام .

قال لوبين لآخر رجل مر من الثغرة وبيده ساعة ثمينة :

– لا حاجة بك الى العودة .. اذهبوا بالســـيارة الى مخزن روكفور ..

وانت ؟ .

– اترك لى الدراجة الخارية .

وما ان انصرف الرجل حتى اعاد لوبين دولاب الكتب الى مكانه وازال كل أثر للاقدام ثم حرك ستارا ونفذ منه الى دهليز يوصل بين البرج والقصر ..

وفى منتصف هذا الدهليز كان يوجد دولاب زجاجي هو الذى حمل لوبين على البقاء وعدم الانصراف مع اعوانه ..

كان هذا الدولاب حافلا بالساعات الثمينة والخـواتم وعلب السعوط وجميعها امثلة بارزة لدقة الصناعة . ففتح الدولاب وحمل هذه التحف الذهبية الثمينة .. ووضعها جميعا فى حقيبة من القماش احضرها معه لهذا الغرض .

وامتلأت الحقيبة . وكذلك امتلأت جيوبه .. وعندما هم بالانصراف خيل اليه انه سمع صوتا . فارهف اذنيه .. وادرك انه لم يخطىء فقد كان الصوت يزداد وضوحا .

وفجاة .. تذكر انه يوجد فى نهاية الدهليز سلم يؤدى الى غرفة كانت دائما خالية .. ولكنها شغلت فى تلك الليلة بالفتاة التى استقبلها ديفان والتى جاءت بقطار نصف الليل مع مسيو داندرول وزوجته .

وبحركة سريعة .. اطفأ لوبين مصباحه الكهربائي .. ولم يكد يفعل ذلك حتى فتح باب السلم فى نهاية الدهليز . وتألق النور فى المكان .

وتوارى لوبين خلف احدى الستائر .. ولم ير .. ولكنه احس بان هناك من يواصل الصعود على درج السلم .

ثم سمع وقع اقدام تقترب فى الدهليز ..

وتوقفت الاقدام .. وانبعثت من مكان قريب صرخـة مكتومة .

لابد ان القادم قد لاحظ سـرقة التحف من الدولاب الزجاجي وادرك لوبين من الرائحة العطرية التى امتلأ بها الجو .. ان القادم امراة .. بل انه احس بثوبها يلمس الستار الذى توارى هو خلفه . وخيل اليه انها قد شعرت بوجوده . وقال لنفسه :

– سوف يستولى عليها الرعب والفزع ..

فترجع من حيث جاءت ..

ولكنها لم ترجع . واعتدلت الشمعة فى يدها بعد ان كانت تهتز وترتجف . ودارت المراة على عقبيها .. وبدا عليها كانها تنصت .. وفجاة .. مدت يدها وحركت الستار والتقت عيونهما ..

وغمغم لوبين فى قلق واضطراب :

– انت .. انت هنا يا انسه اندرداون ..

نعم .. كانت الفتاة هى نيلى اندرداون .. تلك الحسناء التى قابلها على ظهر الباخرة (بروفانس) فى رحلتها الى امريكا ..

الفتاة التى تعلقت بها احلامه وخيالاته .. والتى شهدت حادث القاء القبض عليه .. ورفضت ان تقدم الدليل المادى ضده .. وآثرت ان تقذف الى الماء بالة التصـوير التى اعطاها لها . وكانت تحتوى على اللآلىء والاحجار الكريمة التى سرقها من ركاب الباخرة ..

وكانت المفاجاة اشد مما تستطيع نيلى احتمـاله ..

فتهالكت على احد المقاعد ..

اما هو فظل واقفا فى مكانه امامها .

ومرت الثوانى كانها اجيال .. وبدا لوبين يدرك حقيقة موقفه منها .. حقيقة رايها فيه .. وهو واقف امامهـا .

والتحف الثمينة ملء يديه وجيوبه .

وسرعان ما حزم رايه على امر .. فترك غنائمه واسلابه على احد المقاعد . والقى بالحقيبة جانبا .

وخيل اليه حين فعل ذلك كان حمـــلا ثقيلا ازيح عن كاهله .. وان موقفه من الفتـــاة قد تبدل نوعـــا ما .. فخطا نحوها خطوة لكى يتحدث اليها . ولكنها اشاحت عنه .. وانكمشت فى مكانها .. ثم نهضت واقفه .. وانطلقت تعدو نحو قاعة الحراسة .. فاسرع فى اثرها .. ووجدها واقفه فى وسط الغرفة وهى ترتجف . وفمها مفتـــوح . وكانها ارادت ان تقول شيئا فلم يسعفها النطق .

ولكنه رآها تجيل البصر حول الغرفة الخالية الخاوية وفى عينيها نظرة ذعر وهلع .

– غدا فى الساعة الثالثة .. سيكون كل شىء فى مكانه ولكنها لم تجب . فقال مكررا ..

– اعدك بان كل شىء سيعود الى مكانه غــدا .. ولن تحول اية قوة على الارض بينى وبين الوفاء بوعدى .. غدا فى الساعة الثالثة مساء .

ولكنها رفعت رأسها فجاة وغمغمت :

– انصت .. اننى اسمع وقـــع اقدام .. ان بعضـــهم قـــادم .

فنظر اليها فى دهشـــة .. ورأى على وجهها دلائـــل الجزع .. كما لو كانت تشفق من خطر يقترب .

قال :

– اننى لا اسمع شيئا .. ومع ذلك ..

– اهرب .. يجب ان تهرب بسرعة ..

– اهرب ؟ ولماذا ؟

– يجب .. يجب ان تذهب .. لا تبق هنا ..

وانطلقت من الباب الى البهو وانصتت ..

كلا .. لم يكن هناك احد .. ولعل الصوت الذى سمعته كان منبعثا من الخارج !

وتريثت لحظة اخرى حتى اطمـــانت .. ثم دارت على عقبيها .. ولكن لوبين قد ذهب ..

كان أول شىء خطر لجورج ديفان حين استوثق من أن قصره قد نهب اثناء الليل .. هو ان الســـارق لا يمـــكن ان يكون انسانا آخر غير فيلمون .. وان فيلمون هو بعينه ارسين لوبين ..

ان الحديث الذى دار بينه وبين هذا الاخير فى الليـــلة السابقة .. كان فى ظاهره مجرد دعابة .. وقد اعتقـــد جميع الذين سمعوه انه كذلك بل انه نفســـه .. كان حتى قبيل اكتشاف السرقة يعتقـــــد ان ذلك الحـــديث اذا دل على شىء فانما يدل على دماثة خلق فيلمون وســـعة صدره .. وتقديره لروح النكتة . فلم يغضب ولم يتبرم .. ومضى بالدعابة المرحة الى نهايتها لادخال السرور على نفوس المدعوين .

نعم .. لابد ان يكون فيلمون هو السارق .. ولكن كيف يمكن هذا ؟؟

كان الاتهام مجرد فكرة عابرة .. ولكنه فيمـــا بينـــه وبين نفســـه لم يستطع أن يصدق ان فيلمون الفنـــان الكبير المعروف يمكن ان يكون ارسين لوبين .. ولذلك فانه عندما اخطر رجال البوليس بالسرقة وحضروا لاجراء التحقيق .. لم يبح لهم بشىء من الشكوك التى قامت فى نفسه ..

وكان ذلك اليوم فى قصر (تيير مـــنيل) يوما حافلا وغصت مسالك القصر والطرق المؤدية اليـــه والحـــدائق المحيطة بـــه .. برجال البوليس والقرويين .. ثم جـــاء

جنود الجيش للقيام بمناوراتهم . وامتلأ الجو بـــدوى الرصاص .. وساد الهرج والمرج فى المنطقة كلها ..

بينما كان المحققون يجوبون انحاء القصر باحثين بغير طائل على اى دليل يرشـد عن الوسيلة التى ارتكب بها السرقة .. فالنوافذ سليمة والابـواب لم تقتحم أو تفتح عنـوة .

ولم يكن لديهم شك فى ان السطو حدث عن طـريق السرداب الخفى الذى يوصل الى القصر ..

ولم يجدوا اى اثر للاقدام او بصمات الاصابع .. ولكنهم وجدوا فى دولاب الكتب ذلك الكتاب النفيس الذى سرق منذ اسبوع .. كما وجدوا الى جواره النســخة التى سرقت من دار الكتب الاهلية .

وجاء ضبـاط الجيش المدعوون فى الساعة الحـادية عشرة واستقبلهم ديفــان فى مــرح وسرور .. دون ان يبدو عليه اى اثر من آثار الانزعاج لسرقة تحفه الثمينة ..

ذلك انه كان واســع الثراء الى الحـد الذى يسمح له باحتمال الخســارة دون أن يبدو عليه شيء من دلائـــل الســخط ..

واقبل مسيو اندرول وزوجته نيللى اندرداون .. فقدمهم ديفــان الى ضيوفه من الضباط ..

واحد فقط من المدعوين لم يحضر .. هــو هـوراس فيلمون . وقد اثار تخلفه شكوك ديفان من جـديد ...

ولكن الساعة لم تكد تدق الثانية عشرة حتى اقبل فيلمـون فهتف ديفــان :

ـ أهذا انت اخيرا .

ـ هل تأخرت ؟ ..

ـ كلا .. ولكن كان من حقك ان تتأخر بعد ليلة امس الحافلة المثيرة .. هل علمت النبأ ؟ ..

ـ اى نبأ ؟ فقال ديفان مداعبا :

ـ انك سطوت على القصر ليلة امس .

ـ كلام فــارغ .

ـ نعم .. انك سطوت على القصر كما توقعت .. ولكن بنا ولهذا الآن تأبط ساعد الانسة اندروان وهلم بنـــا نتناول طعام الغداء .. نيللى .. دعنى اقدم لك ..

ولم يتم عبارته .. وادهشه علائم الحيرة والارتبــاك التى ارتسمت على وجه الفتاة .

ولكنه لم يلبث ان تذكر شيئا فهتف :

ـ آه .. تذكرت الآن .. انك ابحرت مع ارسين لوبين فى باخرة واحدة .. عندما قبض عليه .. الا يدهشـــك التشابه العجيب بين لوبين وصديقى فيلمون ؟ فلم تجب .. ووقف لوبين امامها باسما ، واحنى لها قامته باحترام .. ثم مد اليها ساعده فتأبطته . وسار بها الى قاعة الطعام واجلسها على المائدة فى المقعد المقابل له .

وقتصر الحديث اثناء الطعام على ارسين لوبين ... والتحف المسروقة والسرداب الخفى . وشرلوك هولمز .

وعندما قاربت المأدبة نهايتها . تغير موضوع الحديث. وحينئذ فقط اشترك فيه فيلمون .. فكان بليغا طلق اللسان حاضر البديهة . وكل عبارة نطق بها .. انما قصــد من ورائها ادخال التسلية على نفس نيللى .. ولكنها كانت منصرفة الى خواطرها وتأملاتها . ولم يبد عليها انهـــا سمعت كلمة واحدة مما قال :

لم تكف طول الوقت عن التفكير فى وعد لوبين .

كان الساعة الثالثة الا ربعا .

واخذ العقربان يتحركان فى بطء شديد ... فتعلقت عيناها بهما على الرغم منها . وحانت منها التفاتة الى فيلمون فوجدته جالسا فى احد المقاعد جلسة انسان لا يشغله شيء من متاعب الحياة .

واقترب عقرب الدقائق .. الساعة الآن الثالثة الا ثلاث دقائق .

واحست نيلي باعصابها تكاد ان تتمزق .

هل يمكن أن تحدث المعجزة .. وتحدث فى الوقت المحدد بالضبط .

وكيف تحدث . والقصر غاص برجال البوليس والجيش والجمهور والخدم والمودعوين ؟ ..

كيف تحدث ورجال القضاء ما زالوا يقومون بالتحقيق؟

ومع ذلك فان لوبين وعدها . قالت لنفسها وهى متأثرة بحيوية هذا الرجل العجيب وسلطانه وثقته بنفسه :

- بل انها ستحدث كما وعد .

وخيل اليها ان الامر لا يصل الى مرتبة المعجزات ولكنه شيء عادى يجب أن يحدث ..

والتقت عيونهما لحظة .. واحمرت وجنتاها . واشاحت بوجهها ودقت الساعة دقتها الاولى .. والثانية .. والثالثة .. ونظر فيلمون الى ساعته .

وانقضت بضع ثوان اخرى .. ثم لوحظ ان الناس فى مسالك الحديقة قد بداوا يفسحون طريقا . واقبلت عربتان يجر كل منهما جوادان .. كانتا من عربات الجيش المعدة لحمل ادوات المطبخ فى ميادين القتال .

ووقفت العربتان بباب القصر . واستفسر الجندى الذى يقود احداهما عن مسيو ديفان ..

فترك هذا مدعويه .. واسرع الى الباب .. وهناك وجد تحفه وصوره وقطع الاثاث موضوعة فى المركبتين بعناية عظيمة .

واجاب الجندى على الاسئلة التى القيت عليه . بان ابرز الامر الذى صدر اليه من ضابطه .. بان ينقل الاثاث الذى سيجده فى طريق « مالو » بالقرب من مدخل غابة « آرك » الى مسيو جورج ديفان صاحب قصر « تبير مسنيل » بحيث يصله فى الساعة الثالثة تماما .

وكان الامر يحمل توقيع الكولونيل بوفيل .

قال الجندى :

وقد وجدت قطع الاثاث على العشب فى المكان المحدود وادهشنى انى وجدته دون حراسة .. ولكن الامر الذى صدر كان واضحا .

وتداول احد ضباط الجيش الامر .. وفحصه جيدا .. ثم قرر ان التوقيع مزيف بمهارة عظيمة .

وبدأ الخدم فى نقل الاثاث والتحف .

وفى وسط الضجة التى حدثت .. بقيت نيلي وحدها فى الشرفة . كانت قلقة مضطربة الذهن .. لا تدرى كيف تركز تفكيرها . وفجأة ابصرت بفيلمون مقبلا نحوها فارادت الفرار .. ولكنها كانت فى ركن الشرفة .. ولابد لها اذا شاءت الفرار ان تمر به وتلتقى به وجها لوجه .

لم تتحرك من مكانها .. وسقطت اشعة الشمس على شعرها الجميل فبدا كانه سبيكة من الذهب .

سمعت صوتا هادئا يقول :

- لقد اوفيت بالوعد الذى قطعته على نفسى ليلة أمس

ووقف بجانبها .. ولم يكن على مقربة منهما احد ولم يسمع لوبين جوابا . فكرر ما قاله فى تردد . وبصوت ينبىء عن الخجل .

كان ينتظر كلمة شكر أو على الاقل نظرة تنم عن اهتمامها بامره . ولكنها لم تتكلم . ولم تنظر اليه .

وازعجه هذا الاحتقار واحس احساسا تاما بعمق الهوة التى تفصل بينهما . بعد اذ عرفت كل شىء من أمره .

كان يريد ان يبرر سلوكه .. ويتحدث عن حوافزه .. وآماله .. ولكن صمتها الجمه .. فلم يجد ما يقوله .

واخيرا تزاحمت الذكريات فى خاطره فغمغم فى حزن

ـ ما ابعد الماضى القريب ! هل تذكرين الوقت السعيد الذى قضيناه معا على سطح السفينة ؟؟ . مهلا .. بالله لا تذهبى .. استحلفك بتلك الساعات العزيزة السعيدة أن تتناسى كل ما علمت دعى الحاضر يلحق بالماضى وحاولى ان تنظرى الى أعلى اننى الرجل الذى قابلته على سطح الباخرة .. لا الرجل الذى فاجأته ليلة أمس .

فرفعت عينيها كما طلب منها . ونظرت اليه . وانما كما لو كانت تنظر مكان سحيق .

وفهم معنى تلك النظرة ..

نعم .. أن صلة ما لايمكن ان توجد بينها وبين ارسين لوبين .. حتى ولا صلة الذكر . غمغم :

ـ معذرة . كان يجب أن افهم مجرد وجودى بمقربة منك يضايقك .. وافسح الطريق .. فمرت امامه . وقبعتها فى يدها .

قال لوبين يحدث نفسه :

لم يبق لى هنا ما افعله .. فلننظر الآن كيف يجب أن ينسحب اذا جاء شرلوك هولمز .

وتسلل من القصر الى الطريق .. فالى المحطة خلال مسالك ملتوية وسط الحقول ..

واشرف فى سيرة على طريق ضيق راى فى آخره رجلا مقبلا .. كان الرجل يناهز الخمسين من عمره مستوى البناء حليق الوجه .. تدل ثيابه ومشيته على انه اجنبى وكان يحمل بيده عصا ثقيلة .. وحقيبة صغيرة .

والتقى الاثنان فى وسط الطريق .. وقال الرجل فجاة بلهجة تدل على أنه انجليزى صميم :

ـ معذرة يا سيدى .. هل هذا الطريق يوصل الى القصر .

ـ نعم .. امض فى سبيلك .. ثم انحرف الى اليسار .. فتجد القصر أمامك .. اسرع فان القوم هناك ينتظرونك

ـ حقا !

ـ نعم .. فقد انبانا ديفان امس عن زيارتك المرتقبة .

ـ اذا كان قد فعل .. فانه يكون ارتكب غلطة كبرى .

ـ مهما يكن من أمر فاننى يسعدنى أن اكون اول من يقابل شرلوك هولمز العظيم .. سيما واننى من أشد المعجبين به وكان فى صوت لوبين شىء طفيف من التهكم .. وقد ندم على ذلك .. لان هولمز لاحظ تهكمه ، وصده بعينيه من قمة راسه الى اخمص قدميه . بنظرة فاحصة . خيل لوبين معها .. كان البوليس السرى الانجليزى الكبير قد التقط له صورة فوتوغرافية سجلها فى مخيلته .

قال لنفسه : ترى هل عرفنى ..

التقت عيون الرجلين مرة اخرى ..

كان منظرهما عجيبا فى هذا اللقاء الاول بينهما .. ولو قد رآهما عابر سبيل فى تلك اللحظة .. لا درك انهما

بمثلان قوتين هائلتين متعادلتين .. تحتم عليهما طبيعة الاشياء ان يتقابلا ويتصادما .

قال الانجليزى : — شكرا لك يا سيدى ..

واجابه لوبين فى أدب : — اننى فى خدمتك دائما

ومضى كل منهما فى سبيله . فقصد لوبين الى المحطة .. وواصل هولمز السير الى القصر .

وكان الجمهور ورجال البوليس والمحققون قد انصرفوا وبقى المدعوون فى انتظار هولمز .. وكلهم فى اشد الشوق والفضول الى مقابلة هذا الرجل العبقرى الواسع الشهرة ..

بيد انهم احسوا بشيء من خيبة الامل حين راو مظهره العادى الذى يختلف كل الاختلاف عن الصور التى رواهــا له وغايبونة فى فمه !

خيل اليهم .. ان هذا الرجل الهادىء الصامت العادى المظهر ، لا يمكن ان يكون العبقرى الذى طبقت شــهرته الآفاق وعرف فى مشارق الارض ومغاربها بســعة الحيلة وقوة الملاحظة . ومتانة الحجة . ورحب به ديفان بحرارة ، وهتف .

— اهلا بك وسهلا .. لقد انتظرناك بفروغ صــبر وانى لاحمد الظروف مهما كان نوعها على انها هيأت لنا شرف هذه المقابلة وبهذه المناسبة .. كيف حضرت ؟

— بالقطار ..

— هذا يؤسف له .. لقد بعثت بسيارتى لانتظارك فى الميناء .

— أردت ان تستقبلنى بمظاهرة .. اليس كذلك ؟؟ حقا ان هذه افضل وسيلة لتيسير عملى .

قال ذلك بلهجة تنم عن السخرية .. فامتعض ديفان ..

ولكنه حمل كلمات البوليس السرى الكبير على محمــل الدعابة واجاب :

— من حسن الحظ ان عملك اصبح أيسر مما كنت اتوهم

— لمــاذا ؟

— لان السطو حدث امس .

— لو لم تعلن عن قدومى .. لما حدث السطو امــس .

— اذن متى كان يمكن ان يحدث ؟

— غدا او فى يوم آخر . — واذن ..

— واذن كان يمكن ايقاع لوبين فى الفخ .

— وتحفى ؟ .. ونفائسى ؟؟

— كانت تبقى حيث هى

— انها هنا الآن ..

— هنــــا ؟

— نعم .. فقد اعيدت الساعة الثالثة .

من الذى اعادها ؟ لوبين ؟

— انها اعيدت فى عربتين من عربات الجيش .

فوضع هولمز قبعة على رأسه . وحمل حقيبته .

هتف ديفان :

ماذا تفعل

ساعود من حيث اتيت

— لمـــاذا

— لقد اعيدت اليك نفائسك . وذهب لوبين . ولم يبق لى ما افعله .

— اصغ الى يا سيدى العزيز .. اننى فى أشد الحاجة اليك . لأن ما حدث أمس يمكن ان يتكرر غدا .. او بعــد غد .. ما دمنا لم نعرف بعد أهم نقطة فى الموضوع كله .

انما نريد ان نعرف كيف دخل لوبين الى القصر وكيف خرج .. وكيف نقل التحف والصور . بصرف النظر عن انه اعاد المسروقات بعد ذلك .

ـ آه .. اذن فانت لا تعرف ..

وارتاح هولمز لمجرد التفكير فى ان هناك لغز يراد حله .

قال : ـ حسنا .. حسنا .. لننظر فى الامر .. فورا .. وعلى انفراد اذا امكن .

ونظرا الى المدعوين . ففهم ديفان .. ورافقه الى غرفة الحراسة . وهناك القى هولمز طائفة من الاسئلة عن سهرة الليلة السابقة ، وعن المدعوين الذين اشتركوا فيها والاصدقاء الذى تعودوا الاختلاف على القصر .

ثم فحص الكتابين .. وقارن بين الرسوم والخرائط والبيانات الخاصة بالسرداب الخفى . وطلب اليه ان يكرر العبارات التى اكتشفها القس جيلاس ثم قال :

ـ هل انت واثق من ان هذه العبارات لم تذكر للمرة الاولى الا امس ؟

ـ نعم ..

ـ الم تذكرها لمسيو فيلمون قبل ذلك ؟ ـ كلا .

ـ حسنا .. وارجو ان تامر باعداد سيارتك فاننى سارحل خلال ساعة ..

ـ خلال ساعة ؟

ـ نعم فان حل اللغز لم يستغرق من لوبين اكثر من ذلك . بفضل التسهيلات التى قدمتها اليه ..

ـ نعم .. ان فيلمون وارسين لوبين هما شخص واحد .

ـ هذا ما خطر لى ويل للوغد ..

ـ انك فى الساعة العاشرة من ليلة امس .. قدمت الى ارسين لوبين الحقائق التى يحتاج اليها . والتى كان يبحث

عنها منذ وقت طويل .. وخلال ليلة امس .. استطاع لوبين ان يهضم هذه الحقائق . ويفسرها .. ويعرف سر السرداب . ثم يجمع اعوانه ويسطو بهم على القصر . ولست اظن اننى ساكون ابطأ منه فى حل اللغز .

واخذ يمشى فى الغرفة جيئة وذهابا وهو منصرف الى التفكير العميق .. واخيرا .. تهالك على احد المقاعد .. ووضع ساق على ساق واغمض عينيه وانتظر ديفان فى قلق وحيرة . وراح يسأل نفسه :

ـ ترى هل غلبه النوم ؟

وانصرف ليصدر اوامره الى الخدم .

ولما عاد وجد هولمز جاثيا على ركبتيه امام نهاية السلم فى الدهليز .

كان يفحص السجاجيد بعناية فساله :

ماذا هناك ؟

ـ انظر الى قطرات الشمع هذه ؟

ـ نعم انها حديثة .

ـ وثمة قطرات تشبهها على درج السلم ، وفوق الدولاب الزجاجى الذى حطمه لوبين .. ونقل محتوياته ووضعها على هذا المقعد .

ـ وماذا فهمت من هذه القطرات ؟

ـ لا شىء .. هذه كلها اشياء توضح السبب فى المسروقات .. بيد ان هذا جانب من الموضوع لا يتسع وقتى للمضى فى بحثه . والمهم الان هو معرفة اتجاه السرداب .

ـ هل تامل فى ..

ـ اننى لا آمل فى شىء .. وانما اعرف اشياء .. هل توجد كنيسة صغيرة على مبعدة مائتى متر تقريبا من هنا .

- نعم انها كنيسة مهجورة .. بها قبر لدوق دى رولو
- مر سائق سيارتك بأن ينتظرنا بباب هذه الكنيسة .
- ان سائقى سيارتى لم يعد بعد .. وسيخطرنى الخدم عند عودته .. اذن فانت تعتقد ان السرداب ينتهى عند الكنيسة .. ولكن ما هو الدليل على ..

فقاطعه هولمز :

هل استطيع الحصول على مصباح وسلم ثم بدا هولمز فى اصدار اوامره على التوالى .. بسرعة .. وبحزم القائد فى ميدان القتال .

قال : ضع السلم بجانب خزانة الكتب الى يسار كلمة « تيبرعسنيل » المكتوبة على الدولاب .

فاطاع ديفان واستطرد هولمز :

- الى اليسار .. نعم .. هنا .. والآن تسلق السلم . ان اسم القصر منقوش بالحروف البارزة . اليس كذلك ؟
- نعم
- والآن .. امسك بالحرف الثانى من اسم القصر .. وحاول ان تحركه .

فامسك ديفان بالحرف . وهتف :

- نعم .. انه يتحرك .. انه يدور نحو اليمين فى نصف دائرة .. كيف اكتشفت ذلك ؟ فلم يجبه هولمز واستطرد :
- والآن .. هل تصل يدك الى الحرف السادس ؟ حسنا حركة كما تحرك مزلاج الباب . فحرك ديفان الحرف السادس ولشد ما دهش حين تحرك الحرف واحدثت حركته صوتا يشبه تحرك المزلاج .

قال هولمز :

- هذا حسن .. انقل السلم الى الجانب الآخر .. اعنى الى نهاية الاسم ... اذا لم اكن مخطئا .. واذا كان

كل شىء يسير كما يجب فان حرف الياء يجب ان يتحرك ويفتح كما تفتح النافذة .

فامسك ديفان بحرف الياء .. وحركة .. ففتح .. ولكن ديفان نفسه سقط من السلم . ذلك لان القسم من الدولاب الذى يشتمل على اسم القصر من اول حرف .. تحرك على محور فى احد جوانبه .. وكشف عن مدخل السرداب .

سال هولمز :

هل آذيت نفسك !

فقال ديفان وهو ينهض واقفا :

- كلا .. كلا .. لم اصب باذى .. ولكن هذه الحروف المتحركة .. وهذا السرداب .
- الا ترى ان كل شىء يتفق تماما مع العبارة التى ذكرها الوزير (سولى) وان احد الحروف يدور وآخر ينبسط كجناح للطير .. وثالث يرتفع ..
- والارقام التى وجدت فى خزانة لويس السادس عشر !
- لقد كان لويس السادس عشر من اكبر هواة صناعة الاقفال .. وتلك حقيقة تاريخية معروفة .. وقد برع الملك فى هذه الصناعة الى ابعد حد .. وكان من الادب واللياقة .. وتلك هواية الملك .. ان يبوح له وريث اسرة « تيبر مسنيل » بالطريقة الاولية البارعة التى يفتح بها السرداب .

وعلى سبيل التذكرة .. سجل الملك الارقام ٢ ، ٦ ، ٨ وهى تشير الى الحروف الثانى والسادس والثامن من اسم القصر .. وهذه الحروف هى بداية الافعال الثلاثة فى العبارة الفرنسية التى تركها الوزير « سولى » .

- آه ... فهمت الان كيف يمكن الخروج من هذه الغرفة عن طريق السرداب .. ولكنني لم افهم كيف استطاع لوبين الدخول .. فلا تنس انه جاء من الخارج .

فاضاء هولمز المصباح . ونفذ من الثغرة الى السرداب . قال :

- في استطاعتك ان ترى من الداخل جميع النظام الآلي لباب السرداب . انه اشبه بنظام الساعة .

ومن الداخل . تبدو الحروف كلها مقلوبة ... فلم يكن على لوبين الا ان يحركها بطريقة عكسية .

- وما الدليل على ذلك ؟

- الدليل .. انظر الى نقطة الزيت التي تلوث الارض لقد ادرك ان الآلات تحتاج الى زيت بعد ان توقفت عن العمل كل هذه المدة الطويلة ... فوضع فيها الزيت لكيلا تحدث صريرا ينبه الاسماع .

- نعم فهو يعرف مخرج السرداب .

- نعم .. كما اعرفه ... اتبعني .

وهبطا سلما يتألف من ١٢ درجة .. ثم هبطا سلما مماثلا ... ثم سلما ؟ ثالثا فرابعا واجتازا سردابا طويلا .. تدل جدرانه على انه قد ادخلت عليه ترميمات كثيرة في عهود مختلفة ..

وانتهيا الى سلم يتألف من ٤٨ درجة .. ونفذا من ثغرة موصدة بحجارة ضخمة ثابتة .

وضرب هولمز الارض بقدمه . وغمغم .

- لا شيء غير الحجارة .

ولكنه ما كان هولمز ما كاد يرفع عينيه الى سقف السرداب حتى تنهد بارتياح .

فقد راى نفس النظام الالي الذي عالجه عند مدخل

السرداب في القصر .. فعالج الحرف الثاني والسادس والثامن من اسم القصر .. وفي الحال .. تحركت صخرة ودارت حول نفسها واحدثت ثغرة تؤدي الى الكنيسة الصغيرة الخربة التي تكلم عنها هولمز ..

وكانت الصخرة التي تحركت تحمل في جانبها الآخر اسم القصر منقوشا بحروف بارزة .

قال هولمز وهو يشير الى خرائب الكنيسة الشهيرة :

- وهكذا يصعد الانسان الى السماء ... او بمعنى آخر يصل الى الكنيسة .. هذا ما عنيه الوزير (مولى) بالعبارة الاخيرة .

فصاح ديفان وقد ادهشته براعة هولمز وقوة استنتاجه :

- ايمكن هذا ؟؟ ايمكن أن تكون تلك المعلومات القليلة قد ارشدتك الى مفتاح السر الضخم ؟

- بل انني لم اكن بحاجة الى تلك المعلومات .. ان الكتاب الذي سرق من دار الكتب الاهلية كان فيه ما يكفي .. الم تر في الرسم الذي تضمنه هذا الكتاب انه قد أشير الى مدخل السرداب بدائرة تحت البرج !! او انك امعنت النظر جيدا لوجدت أن نهاية السرداب قد أشير اليها بعلامة باهتة لا ترى بالعين المجردة .. وان هذه العلامة تتفق مع مكان الكنيسة .

وانصرفا من الكنيسة وهتف هولمز :

- الو .. ها هي سيارة في انتظارنا .

وسار ديفان الى حيث وقف السائق بالسيارة وساله :

- من الذي امرك بالقدوم الى هنا ؟

فاجاب السائق .

- امرني بذلك مسيو فيلمون .

- مسيو فيلمون ! هل قابلته ؟

- نعم يا سيدي .. قابلته على مقربة من المحطة .

وامرني بالقدوم الى الكنيسة ..
- بالقدوم الى الكنيسة !! . لماذا .
- لأكون بانتظارك يا سيدى .. أنت وصديقك .
فارتسمت على شفتي هولمز ابتسامة ارتياح .. وقال :
- انه رجل بكل مافى الكلمة من معنى .. لقد عرفت ذلك بمجرد ان رأيته .
- هل رأيته ؟
- نعم .. تقابلنا فى الطريق منذ دقائق ..
- وهل عرفت انه هو ارس فيمون .. أو على الأصح .. ارسين لوبين !
- كلا .. لم اعرف ذلك على الفور .. ولكنى أدركتـه من رنة تهكم فى صوته .
وعندما وقفت بهما السيارة امام المحطة .. قال هولمز ببساطة .. وفى هدوء عجيب ينم عن ارادته الحديدية وعزيمته التى لا تفل .
- نعم .. انه رجل .. ورجل سوف يسرنى جـدا أن أضع يدى على كتفه وتذكر هذا يا مسيو ديفان .. تذكر أن ارسين لوبين وشرلوك هولمز يجب أن يلتقيا يوما .. فان الدنيا أصغر من أن تتسـع لهما معـا .. وعندمـا يلتقيـان ..
ولم يتم هولمـز عبارته .. وترك لديفان أن يتخيـل البـاقى .

« تمـت »

دار الشباب للطباعة
١٥ شارع العباسية بالقاهرة
ت ٩٢٩٧٣٠